القول السديد

في أحكام الوباء الجديد

(كورونا)

تأليف

أ.د. إبراهيم بن عامر الرحيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة، قدّر مقادير الخلائق بسابق علمه، ومضى فيهم حكمه بمشيئته وقدرته، ووعد بالثواب من آمن بقضائه وقدره، واستقام على دينه وشرعه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد أصبر الأمة على البلاء وأشكرهم على النعماء، وعلى أله وصحبه سادات العلماء النجباء وخيرة البررة الأتقياء.

أما بعد:

فقد صاحب هذا الوباء المستجد المسمى بـ(كورونا) ما صاحبه من الاختلاف في المواقف والآراء، على مستوى الدول والمؤسسات والأفراد والمجتمعات، وتعددت الآراء فيه من حيث التشخيص لحقيقته، وسبب وجوده وطرق معالجته، وسبل الوقاية منه.

كما تنوعت وتعددت آثاره، حتى شملت الكثير من النواحي العلمية والطبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأصبح حديث الناس في مجالسهم، وكثر فيه اختلافهم وتنازعهم، فما يقرره خبير أو طبيب أو محلل ينقضه آخر، حتى أصبح الناس في حيرة منه، وفي أمر مريج من شأنه.

ولم يتوقف الاختلاف فيه على تلك النواحي فحسب، بل توسع الخلاف فيه إلى الاختلاف في الموقف الشرعي منه، فتباينت آراء الكتاب والدعاة والوعاظ والمحللين الشرعيين فيه، وتعددت آراؤهم حوله حتى التبس على العامة بل على بعض طلاب العلم الحق في الموقف الشرعي منه.

ولئن اختلفت أقوال الخبراء والأطباء والمحللين غير الشرعيين فيه فالأمر في ذلك هين مهما تباعدت الآراء وتعددت الأفكار، فكل يعبر عن رأيه مما قد يصوب فيه أو يُخطأ، ما لم ينسب ذلك القول للشرع.

وهذا بخلاف الاختلاف في هذا الوباء من منظور شرعي ديني فيتحمل المتحدث فيه مسؤولية عظيمة بنسبة ما يقرره لله تبارك وتعالى، سواء ما يتعلق بالأحكام الكونية القدرية التي يدعو الناس إلى اعتقادها، وأن الله خلق وقدّر لحكمة كذا وكذا، أو الأحكام الشرعية الدينية التي يدعو الناس إلى امتثالها ،وأنه يجب عليهم فعل كذا وكذا، جازما قاطعاً بأن هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده، والشرع الذي يجب امتثاله، مخطئاً كل من خالفه في مقاله، مضيقاً على خصمه في اجتهاده، بل لربما تجاوز حدّ النقد للمقالة إلى الطعن في صاحبها واتهامه.

ولقد تنوعت آراء وأقوال من تكلم في هذا الوباء من منظور شرعي إلى أقوال متعددة، يصل التباين بينها إلى درجة التضاد فما يرى هذا أنه حق قاطع، يرده الآخر ويرى أنه عين الباطل.

- فمن قائل: إن هذا الوباء جند من جنود الله أرسله الله على الخليقة عقوبةً من الله لهم، محتجاً بقوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧} [الفتح: ٧] وأضاف آخر أنه لا سبيل لمقاومته محتجا لذلك بقول الله تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣} [الصافات: ١٧٣].
- ومن رادٍّ لهذا القول معتبراً هذا من الجرأة على الله، ومن القول على الله بلا علم مؤيداً قوله بقول الله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} [المدثر: ٣١].
- وآخر يرد هذا القول بأن هذا الوباء يمكن هزيمته والقضاء عليه، فلا يصح وصفه بأنه من جند الله، لأن جند الله لا يغلبون ولا يهزمون، قال تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝١٧٣} [الصافات: ١٧٣].
- وينتقد كاتب آخر هذا القول من وجه آخر حيث يقول: «إن قول الخطيب على منبر الجمعة مثلاً: إن هذا الوباء كورونا جندي من جنود الله، يوحي للمتلقي بأننا نحن المسلمين متعاطفون مع هذا الوباء!! حتى لو كان الخطيب لا يقصد ذلك، إذ عباد الله لا بد أن يتعاطفوا مع جنود الله!! هذه هي الرسالة التي يتلقاها الناس».

ويضيف قائلاً في نقد هذا القول واصفاً له بأنه: «يوحي للمتلقي البسيط ولغير المسلمين خاصة أن (الله) بالمنظور الإسلامي كأنه عدوّ للبشر، وهو في حالة حرب دائمة معهم !!».

- ويرى آخر أن هذا الوباء رحمة من الله للمؤمنين محتجاً لقوله بقياس هذا الوباء على الطاعون وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، كما جاء في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا: «**أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**»[1].

- وآخر يتوجه بالشكر لـ(كورونا) ويصفه بأنه أغلق دور الدعارة، والسينما والمسارح والمراقص والمقاهي فيردد في نشوة وفرح: «شكراً كورونا أغلقت كذا وكذا، شكرا كورنا منعت كذا وكذا، شكرا كورونا عرّفت الناس بكذا وكذا».

- بينما يرى آخر أن (كورونا) رجسٌ وشرٌّ يفتك بالكبير والصغير من غير تمييز ولا تفريق، فيقتل المسلم والكافر والبر والفاجر، ثم يكيل له السباب والشتم على أذيته للخلق.

- ومن الكتّاب والوعاظ من ذهب إلى أن كورونا هو الطاعون، فأخذ ينزل أحكام الطاعون عليه سواء بسواء، وقد تقدمت بعض الإشارات لهذا التوجه عند عرض الأقوال السابقة، ومن ذلك الاستدلال بأحاديث الطاعون على هذا الوباء.

وقد كانت هذه الأقوال منتشرة في وسائل التواصل عبر تلك الرسائل التي تطرق أجراسها أجهزة الجوال صباحا ومساء، حتى تنتشر في الآفاق، ثم يتبعها

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٣٤).

تأكيدات وتعقباتها، حتى أشكل على الناس منها ما يجدون من تعارض وتضارب، واختلاف وتباين، وقد أُرسل لي بعضُها مشفوعًا بالاستفصال عن بيان الصواب منها من الخاطئ، والحق من الباطل، فكنت أجيب عما يرد عليّ إجابات مختصرة عبر تلك الوسائل، وبحسب المقام، حتى ألحَّ بعض من لا يسع رده من الزملاء المقربين والأحبة الصادقين الذين يحسنون الظن بأخيهم -على ضعف أعرفه من نفسي وتقصير- فألح أن أحرر جواباً شافياً في هذا الموضوع، مؤكدا إشكال هذا الأمر على كثير من الناس حتى على بعض طلبة العلم المتقدمين، فتأملت طلبه وتذكرت ما ورد على من أسئلة متكررة عن هذا الجانب.

فانشرح الصدر بفضل الله ومنته لتسطير هذا البحث، فقررت أن أقدم بين يدي ما سأقرره في هذا المقام ذكر ملخص ما وقفت عليه من تلك الآراء والأقوال المسؤول عنها، من غير نسبة لأصحابها؛ تمسكا بهدي النبي ﷺ في التوجيه والتنبيه لما يعرض للناس مما يود التنبيه عليه بقوله: «ما بال قوم يقولون كذا وكذا، أو يفعلون كذا وكذا»[(١)].

كما أني لم أقف عند كل لفظة أو جملة مما قيل لأتعقبها بالموافقة أو الرد، وأن هذا صواب أو خطأ، وإنما ذكرت المسائل التي هي مدار الخلاف، مستدلاً لما أذكره ومؤيداً لما أقرره بكلام أهل العلم مع التجرد للحق بحسب

(١) انظر مسند الإمام أحمد. ح :(٢٤١٨٠). وسنن الدارقطني. ح:(٣٩٩١)

ما بلغني من العلم، ولا أزعم فيما أقرره أن قولي صواب لا خطأ فيه ، وقول غيري خطأ لا صواب فيه ، بل مجتهد في تحري الحق ورد الباطل، وحالي في هذا كما قال الشافعي عليه رحمة الله: «رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب»(١).

إذ المسألة نازلة ليس فيها نص قاطع ولا بيان من السلف ظاهر:

وقد سميت هذا البحث (القول السديد في أحكام الوباء الجديد - كورونا).

وقد تألف من مقدمة وتمهيد وفصلين.

أما المقدمة فكانت في بيان سبب تأليف هذا البحث.

وأما التمهيد: ففي بيان تحريم القول على الله بغير علم وأقسام العلوم باعتبار إمكانية تحصيلها من عدمها.

ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: بيان تحريم القول على الله بغير علم.

المسألة الثانية: بيان أقسام العلوم باعتبار إمكانية تحصيلها من عدمها

أما الفصلان فعلى النحو الآتي:

---

(١) جواهر الدرر للتتائي (١/ ١٤).

الفصل الأول: في أحكامه الكونية القدرية:

ويشتمل على ثمان مسائل:

المسألة الأولى: في وجوده.

المسألة الثانية: في حقيقته.

المسألة الثالثة: تقدير لله له.

المسألة الرابعة: حكمة الله في تقديره.

المسألة الخامسة: الدروس والعبر من وجود ه.

المسألة السادسة: هل هو مصنوع من البشر ؟.

المسألة السابعة: هل هو الطاعون؟.

المسألة الثامنة: هل هو جند من جنود الله ؟.

الفصل الثاني: في أحكامه الشرعية الدينية.

ويشتمل على ست مسائل:

المسألة الأولى: ا لموقف الشرعي من وجوده وتقديره.

المسألة الثانية: هل يفرح به أم يحزن له؟.

المسألة الثالثة: حكم ذمه ووصفه بأوصاف الذم ؟.

المسألة الرابعة: هل يأخذ حكم الطاعون في أحكامه؟.

المسألة الخامسة: في غسل موتاه وتكفينهم والصلاة عليهم.

المسألة السادسة: في الحكم لموتاه بالشهادة.

وقد سرت في كتابة هذا البحث على منهج علمي، سلكت فيه الطريقة العلمية الأثرية، باستنباط أحكام المسائل من النصوص، وتخريج الفروع على الأصول، وطرد العلل البينة للأحكام القطعية النصية على نظائرها من مسائل وجزئيات هذه النازلة العصرية، للخروج من ذلك بأحكام إن لم تكن للحق صائبة فأرجو أن تكون له مقاربة، والله المستعان من قبل وبعد على حسن القصد ولزوم الحق.

التمهيد

بيان تحريم القول على الله بغير علم وأقسام العلوم باعتبار إمكانية تحصيلها من عدمها

ويشتمل على مسألتين:

المسألة الأولى: بيان تحريم القول على الله بغير علم.

المسألة الثانية: بيان أقسام العلوم باعتبار إماكنية تحصيلها من عدمها.

المسألة الأولى:

بيان تحريم القول على الله بغير علم

العلوم التي يتكلم الناس فيها تنقسم من حيث نوع المعلوم إلى قسمين:

علم بالخلق والتكوين. أو علم بالدين والتشريع.

فالعلم بالخلق والتكوين يرجع إلى معرفة أمر الله الكوني الذي به خلق، والعلم بالشرع يرجع إلى معرفة الأمر الشرعي الذي به شَرَع، فرجع الكلام في العلم إلى الخبر عن الله إما خبر عن خلقه وإيجاده ،وإما خبر عن دينه وشرعه.

وقد حذر الله من القول عليه بلا علم في الأمرين:

فقال في الوعيد على القول في خلقه بغير علم :{وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾} [الزخرف: ١٩].

وقال في النهي والوعيد في القول في شرعه بلا علم: {وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾} [النحل: ١١٦].

وقال في عموم ذلك كله: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾} [الإسراء: ٣٦].

وقد بين النبي ﷺ أن القول بغير علم إنما يكون من أهل الجهل بالشرع

بعد قبض العلماء وذهابهم، وأن المتكلم به ضال في نفسه مُضل لغيره، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»(١).

وقد كان السلف يعظمون القول على الله بغير علم ويحذرون منه، ويمدحون التوقف عند حدود العلم وقول الرجل لا أدري:

روى مالك في الموطأ عن أبي بكر أنه قال: «أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت على الله ما لا أعلم»(٢).

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا بردها على الكبد إذا سئل الرجل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم»(٣).

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيها الناس من علم منكم علما فليقل به، ومن لم يعلم، فيقول: لا أعلم، والله أعلم، فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أخرجه مالك (٢/ ١٦٦).

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٣٦٢).

=

ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾} [ص: ٨٦]»[١].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنة ماضية ولا أدري»[٢].

وكان ابن عباس يقول: «إذا أخطأ العالم أن يقول لا أدري، فقد أصيبت مقاتله»[٣].

وعن عبد الله بن يزيد بن هرمز قال: «ينبغي للعالم أن يورث، جلساءه من بعده لا أدري، حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون إليه، إذا سئل أحدهم عما لا يدري، قال: لا أدري»[٤].

عن القاسم بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «لأن يعيش الرجل جاهلاً خير له من أن يفتي بما لا يعلم»[٥].

عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «لا أدري: نصف العلم»[٦].

وسأل رجل مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة فقال: «لا أدري»، فقال: يا أبا

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٦٣).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٦٦).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٦٦).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٦٧).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٣٦٧).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٦٩).

=

عبد الله: تقول لا أدري؟ قال: «نعم فبلغ من وراءك أني لا أدري»[1].

وكلامهم في هذا يطول، والقصد هو التذكير بخطورة القول على الله بغير علم.

ومن ذلك الخوض في هذا الوباء، من جهة خلقه وتقديره، وأن الله خلقه لكذا، أو قدّره لكذا، أو أنه جند من جنود الله، أو هو رحمة أو عذاب.

وكذا الكلام في أحكامه الشرعية كالحكم لموتاه بالشهادة، أوأنه له حكم الطاعون في عدم الفرار منه، وعدم دخول المدينة، أو القول بسبه وذمه، وغيرها من مسائل كثر خوض الناس فيها، من غير دليل يُرجع إليه ،ولا أصل شرعي يُعتضد به.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٣٧٠).

المسألة الثانية:

بيان أقسام العلوم باعتبار إمكانية تحصيلها من عدمها

العلوم من حيث إمكانية تحصيلها من عدمها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: (**علم مبذول**)خوطب به الناس، كالعلم بالله فيما أخبر عن نفسه والعلم بالشرع والثواب والجزاء.

وطريق تحصيله الرجوع إلى النصوص الشرعية، ودلالة النصوص عليه من طريقين.

الأول: دلالة المنطوق وهي ثلاثة أقسام عند الأصوليين:

(أ) دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام معناه، كدلالة البيت على كل ما يتألف منه.

(ب) دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء معناه، كدلالة البيت على الجدار.

(جـ) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على لازم خارج عن معناه، مثل دلالة (سقف) على الجدار، لأن الجدار لازم للسقف فلا يقوم إلا عليه[1].

الثاني: دلالة المفهوم هي دلالة اللفظ على حكم لم يذكر في الكلام ولم ينطق به، وهي تنقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر: أصول الفقه لابن مفلح (١/ ٥٦)، وشرح الكوكب المنير لابن النجار (١/ ١٢٦).

أ-مفهوم الموافقة وهي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه من باب أولى.

ب-ومفهوم المخالفة دلالة اللفظ على كون الحكم في المسكوت عنه مخالفًا للحكم في المنطوق به(١).

فهذا العلم يمكن تحصيله لكن بأن يطلب من مصدره الصحيح، وبأن يسلك في طلبه المسلك الصحيح، فمتى ما استقام لطالبه صحة الدليل وسلامة الاستدلال تحقق، وإلا كان وهما عاريا من دليل يشهد لصحته، وإن احتج له صاحبه بما يحشد من أدلة لا تصح ،وإن صحت فأنها لا تدل عليه.

والقسم الثاني: (**علم محجوب**) لا سبيل إلى تحصيله ،قد طُوي علمه عن الخلق ،وليس للكلام فيه مستند من علم صحيح إلا التخرص والظنون.

ومن العلم المحجوب :العلم بالله تعالى مما لم ترد به النصوص كالعلم بكيفية ذاته وصفاته ،أو الإحاطة بعلمه ،أوبحكمته في تدبير شؤون خلقه:

قال تعالى: {يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠} [طه: ١١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم الدليل القاهر هو القاضي بصحة ما

(١) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٧٤)، ومذكرة في أصول الفقه للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ص: ٢٨٤).

ذكرت: أن الله عز وجل حجب عن الخلق - من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وسائر الخلق أجمعين - معرفة ما هو، ولم يجعل لهم طريقاً إلى علم مائيته، ولا سبيل إلى إدراك كيفيته، جل أن يدرك أو يحاط به علماً، وتعالى علواً كبيراً: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾}، فمنع من إحاطة العلم به، فلا سبيل لأحد إليه.

وقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾}، فنفى عن نفسه الأشباه والأمثال، فمنع من الاستدلال عيه بالمثلية، كما منع الدليل على إدراك كيفيته أو علم ماهيته.

فهذا الذي لا سبيل للعقل إلى معرفته، ولا طريق له إلى علمه»[١].

ومن العلم المحجوب :مفاتح الغيب الخمس المذكورة في قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾} [لقمان: ٣٤].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: « **مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلاَ تَدْرِي**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩/ ٥-٦).

=

نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ»[1].

ومن العلم المحجوب: معرفة حقيقة الروح .قال تعالى: {وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾} [الإسراء: ٨٥].

ومن العلم المحجوب :سرّ الله في القدر ،وأسباب التقدير والحكمة منه.

عن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ الْقَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»[2].

وسيأتي مزيد تقرير للنهي عن الخوض في القدر فيما يأتي من البحث.

وكما دلت النصوص على النهي عن الخوض في العلم المحجوب، فقد حذر من ذلك السلف:

فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان عنده علم فليعلم الناس، ولا يقولن ما ليس له به علم فيكون من المتكلفين»[3].

وعن ابن عمر، أنه سئل عن القدر، فقال: «شيءٌ أراد الله أن لا يطلعكم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩٦) ح(١٤٢٧)، والبيهقي في القضاء والقدر (ص: ٢٩١) (٤٤٤)، وحسَّن إسناده المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ٢٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٥٥).

(٣) الحجة في بيان المحجة لقوّام السنة (٢/ ٥٧٨).

=

عليه، فلا تريدوا من الله ما أبى عليكم»[1].

و عن الربيع بن خثيم، أنه قال: «يا عبد الله، ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه، ولا تتكلف فإن الله عز وجل يقول لنبيه ﷺ: {قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾} [ص: ٨٧]»[2].

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر، وادعاء العلم المفقود كفر، ولا يثبت الإيمان إلا بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود»[3].

فهذا النوع من العلم لا يمكن تحصيله، لأن الله حجبه الله عن الخلق، فالتنقيب عنه جهل بحكمة الله من إخفائه، وشغل عن العلم الصحيح النافع المأمور به في النصوص.

قال الطحاوي: «فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان»[4].

وإذا تقرر هذا فإن الواجب على الناظر في أحكام الشرع أن ينظر في نوع

(١) أخرجه ابن بطة (٤/ ٣١٣).

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢/ ١٠٤٤).

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٢٦٢).

(٤) الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (ص: ١٧٠).

العلم قبل البحث والتقرير، فإن كان من العلم المبذول الذي دلت عليه الأدلة سلك في تحصيله طرق الاستدلال الصحيحة الدالة على حكمه الصحيح من الشرع، وإن كان من العلم المحجوب أمسك عن الدخول فيه والتنقيب عنه، ومن الفقه في هذا الباب التوقف والتسليم لله فيما طُوى عنا من هذا العلم، وعلى ضوء هذا التقعيد سيكون بحث مسائل هذا الوباء وبالله التوفيق.

وهذا أوان الشروع فيه، فأسأل الله الإعانة والتسديد هو حسبي وعليه اعتمادي واتكالي، فنعم المولى ونعم النصير.

الفصل الأول

أحكامه الكونية القدرية

ويشتمل على ثمان مسائل:

المسألة الأولى: في وجوده.

المسألة الثانية: في حقيقته.

المسألة الثالثة: تقدير لله له.

المسألة الرابعة: حكمة الله في تقديره.

المسألة الخامسة: الدروس والعبر من وجوده.

المسألة السادسة: هل هو مصنوع من البشر ؟.

المسألة السابعة: هل هو الطاعون؟.

المسألة الثامنة: هل هو جندى من جنود الله ؟.

المسألة الأولى:

وجوده

وجود هذا الفيروس المسمى بـ (كورونا)حقيقة ثابتة لا مجال للتشكيك فيه، ليس هو خدعة دولية، ولا إثارة إعلامية، وثبوته متقرر بالحس والاستفاضة والشهادة:

أما الحس: فقد رأى الناس وسمعوا مؤمنهم وكافرهم تفشي هذا المرض وانتشاره، وسرعة انتقاله، حتى عم أرجاء الأرض، وتجاوز عدد المصابين به وقت كتابة هذه الرسالة (ثلاثة مليون مصاب)، ومات منهم ما يزيد عن (مائتي ألف)، وما زالت أرقام ضحاياه في تزايد ليس عبر الأشهر والأسابيع بل في كل لحظة وحين، فنسأل الله أن يقي المسلمين شره ويعافيهم من فتكه.

وأما الاستفاضة: فقد استفاضت في الناس أخبار هذا الوباء، وتصدرت أخباره نشرات الأخبار الدولية والمحلية، وعم الحديث عنه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وساد الحديث عنه مجالس الناس العامة والخاصة، فأصبح تداول أخباره، حديث مجالسهم المتجدد وموضوع حواراتهم المتكرر وقد تناقل أخباره الكبار والصغار والرجال والنساء ،حتى أصبح وجوده من الحقائق الحتمية ،والمسلمات العلمية.

وأما الأثر: فهو ما يشهده العالم اليوم من انتقال هذا الوباء بشكل سريع من شخص لآخر، ثم خضوعهم للعلاج والحجر في المستشفيات

والمصحات، وما يصحب المصابين به من آثار مرضية من ارتفاع لدرجة الحرارة، وضيق في النفس وآلام شديدة، حتى ينتهي الأمر ببعض المصابين به إلى الوفاة ومفارقة الحياة، بإذن الله تبارك وتعالى.

هذا بالإضافة إلى ما تولد عن ذلك من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية وطبية، فحظر للتجول ،وإغلاق للإدارات والشركات، والمدارس والجامعات، والمساجد والأسواق، مع خوف مترقب وفزع وتوتر، وكفى ببعض هذه الآثار في إثبات حقيقة هذا الوباء.

وإنما أوردت الأدلة -المستند إليها عند أهل العلم في إثبات الحقائق -والتي دلت على وجوده لأن هناك من يشكك في وجوده من أصله، أو يُسلِّمَ بوجوده لكنه يدعي أنه قد بُولغ فيه، ويزعم أن هذا الوباء ما هو إلا دعاية إعلامية كبرى تقف وراءها دول عظمى، لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية، وتسويق لمستلزمات طبية، وذلك من وراء إشاعة أخباره في الناس وما صاحب ذلك من إجراءات وقرارات.

المسألة الثانية:

حقيقته

تشخيص هذا الوباء على ماجاء عن الأطباء المعتمدين الموثوقين من المسلمين وغيرهم وتكاد تتفق عليه كلمتهم، وبحسب ماورد في التعريف به في موقع وزارة الصحة السعودية، وهي جهة رسمية موثوقة، على النحو الآتي:

أ-اسمه: هو: فيروس (كورونا) من فصيلة فيروسات (كورونا) الجديد.

ب_أول ظهوره: أول ماظهرت الإصابة به في مدينة (ووهان) الصينية نهاية ديسمبر ٢٠١٩م على صورة التهاب رئوي حاد.

ج-سببه: يُعتقد أن فيروس (كورونا) الجديد مرتبط بالحيوان؛ حيث إن أغلب الحالات الأولية كان لها ارتباط بسوق للبحريات والحيوانات في مدينة ووهان.

د-التعرف عليه: تم التعرف على الفيروس عن طريق التسلسل الجيني.

جاء في وكالة الأنباء السعودية (واس): «نجح مختبر المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها في كشف التسلسل الجيني الكامل لفيروس كورونا الجديد (SARS-CoV-2) من حالات إيجابية لمرض كوفيد-١٩»[(١)].

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس) تحت عنوان: (المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها ينجح في كشف التسلسل الجيني لفيروس كورونا الجديد). الرياض ٢٤ رجب ١٤٤١ هـ الموافق ١٩ مارس ٢٠٢٠

هـ- كيفية العدوى به: ينتقل الفيروس بين البشر من الشخص المصاب بالعدوى إلى شخص آخر عن طريق المخالطة بإذن الله تعالى.

و- أعراضه: تشمل الأعراض النمطية لفيروس (كورونا): الحمى - السعال - ضيق التنفس - وأحيانًا تتطور الإصابة إلى التهاب رئوي، وقد يتسبب في مضاعفات حادة لدى الأشخاص ذوي الجهاز المناعي الضعيف والمسنين والأشخاص المصابين بأمراض مزمنة ،مثل: السرطان، والسكري، وأمراض الرئة المزمنة[١].

---

(١) انظر موقع وزارة الصحة على الشبكة / الصحة العامة / فيروس كورونا الجديد (كورونا .www. moh. gov. sa (COVID-19)

المسألة الثالثة:

تقدير الله له

هذا الفيروس مخلوق لله خلقه الله بقدر، وهو داخل في عموم المخلوقات المقدرة قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾} [القمر: ٤٩] وكما خلق الله هذا الفيروس بقدر فإن انتقاله والعدوى به بقدر من الله، يصيب به ويبتلي به من يشاء لحكمة، ويصرفه ويعافي منه من يشاء لحكمة.

قال ابن القيم: «خلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الأرزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر»(١).

وكون هذا الفيروس ينتقل من شخص لآخر وتحصل به العدوى لا يخرجه عن كونه مقدّرا من الله لحكمة، فالعدوى نفسها مقدرة وليست هي مؤثرة بنفسها.

ففي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :«**لاَ عَدْوَى وَلاَ صَفَرَ وَلاَ هَامَةَ**» **فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا بَالُ إِبِلِي، تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ، فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟»**(٢).

قال ابن القيم معلقا على الحديث: «و لا حجة في هذا لمن أنكر الأسباب بل فيه إثبات القدر ورد الأسباب كلها إلى الفاعل الأول،

---

(١) شفاء العليل (ص: ٢٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٧٠) ومسلم (٢٢٢٠).

إذ لو كان كل سبب مستندا إلى سبب قبله لا إلى غاية لزم التسلسل في الأسباب وهو ممتنع، فقطع النبي ﷺ التسلسل بقوله فمن أعدى الأول؛ إذ لو كان الأول قد جَرِبَ بالعدوى والذي قبله كذلك لا إلى غاية لزم التسلسل»[1].

فنَفَى النبي ﷺ أن تكون العدوى مؤثرة بنفسها، ولم يبطل تأثيرها بمشيئة الله، فلما مثّل الأعرابي بالإبل يصيبها الجرب فينتقل للصحيح من الأجرب، قال النبي ﷺ: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟**» فبين أن الأمر ينتهي إلى أول مصاب من الأبل بالجرب، وأنه لم يكن من عدوى، وإنما هو بقدر الله ،وكذلك انتقال العدوى، فإنه لا يكون لا زما لكل من خالط أصحاب الأمراض المعدية، وهذا مما يجمع عليه الأطباء، فدل على أن أصل الأمراض المعدية مقدّر من الله، وانتقالها والعدوى بها بقدر من الله، فرجع الأمر كله إلى قدر الله ومشيئته.

وقد عرف الناس قديمًا قبل أن يتقدم الطب و تنتشر التطعيمات للتحصين من الأمراض أن أهل التجارب من الكبار في السن يأتون ببعض الأطفال الذين لم تصبهم (الحصبة)، ويخالطونه بالمصاب منها حتى تصيبه وهو صغير؛ فتكون خفيفة عليه ،ولا ترجع له بعد ذلك -كما يزعمون-، ومع هذا فقد لا تنجح المخالطة في نقل الحصبة -مع كونها من الأمراض المعدية -لمن أرادوا انتقالها إليه

(١) إعلام الموقعين (٤/ ٣٩٧).

مع مبالغتهم في بذل أسباب العدوى، وهذا من أكبر الأدلة الواقعية التي تدل على أن العدوى ليست مؤثرة بنفسها بل بقدرة الله، وهذا في مقابل الدواء بالنسبة للشفاء ؛فإن الدواء قد ينجح في الشفاء، وقد لا ينجح ،وقد يحصل الشفاء من غير دواء، ليعلم الناس أن هذه الأسباب ليست مؤثرة بنفسها بل بقدرة الله.

ومع هذا فالنبي ﷺ أمر بالأخذ بالأسباب في توقي العدوي ؛لأنها من الأسباب التي ينتقل بها المرض بإذن الله، فنفيها هنا في الحديث لا يمنع من توقي أسبابها، بل جمع النبي ﷺ بين نفي تأثير العدوى بنفسها، وأمر بتوقي أسبابها في حديث واحد.

كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُٱللَّهُفي التعليق على الحديث: «وقد اختلف العلماء في ذلك، وأحسن ما قيل فيه: قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم: أن قوله: «لا عدوى» على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وإن هذه

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ح(١٣٧٧٢) والبغوي في شرح السنة (٣٢٤٧) وقال: «هذا حديث صحيح » وأخرجه البخاري معلّقًا (٥٧٠٧). وصحح إسناده الألباني في سلسلة الصحيحه (٧٨٣).

=

الأمور تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من شيء من الأمراض سببا لحدوث ذلك، ولهذا قال: «**فر من المجذوم كما تفر من الأسد**»[(١)]، وقال: «**لا يورد ممرض على مصح**»[(٢)]، وقال في الطاعون: «**من سمع به في أرض فلا يقدم عليه**»[(٣)]، وكل ذلك بتقدير الله تعالى»[(٤)].

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٥٨٤٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم (٢٢١٨).

(٤) فتح المجيد (ص: ٣٠٧).

المسألة الرابعة:

حكمة الله في تقديره وعدم الخوض في ذلك

من أسماء الله تبارك وتعالى الحكيم، وهو سبحانه متصف بالحكمة، والحكمة صفة ذاتية قائمة بذاته لا تنفك عن ذاته قال تعالى: {وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾} [آل عمران: ٦٢] وقال تعالى: {فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾} [البقرة: ٢٠٩].

وأفعاله كلها صادرة عن حكمة بالغة :

فله الحكمة في خلقه وإيجاده: قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾} [آل عمران: ٦].

وله الحكمة في شرعه وأمره: قال تعالى: {وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾} [البقرة: ٢٢٨].

وله الحكمة في هدايته وإضلاله: قال تعالى: {فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾} [إبراهيم: ٤].

وله الحكمة في عطائه وإحسانه: قال تعالى: {فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾} [الحجرات: ٨].

وله الحكمة في عقابه وجزائه: قال تعالى: { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ

جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾} [النساء: ٥٦].

وله الحكمة في نصره وتأييده: قال تعالى: {وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾} [الأنفال: ١٠].

وله الحكمة في قهره لعباده: قال تعالى: {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾} [الأنعام: ١٨].

وقد شهد له بالحكمة أعلم الخلق بربهم من الملائكة والرسل:

قال تعالى مخبراً عن الملائكة: {قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾} [البقرة: ٣٢]

وقال حملة العرش من الملائكة: {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾} [غافر: ٨]

وقال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: {رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾} [البقرة: ١٢٩].

وقال يعقوب زمن الابتلاء وفقد الأبناء: {عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾} [يوسف: ٨٣].

وقال يوسف زمن التمكين والنعماء: {وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾} [يوسف: ١٠٠].

وقال عيسى عليه السلام في مقام التسليم لرب الأرض والسماء: {إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾} [المائدة: ١١٨].

والواجب على المسلم الإيمان بما دلت عليه النصوص من إثبات الحكمة لله، وأن أفعال الله وتقديره وخلقه وإيجاده كلها صادرة عن حكمة عظيمة، كما أن أوامره ونواهيه وتشريعاته كلها ناشئة عن حكمة بالغة، وهو سبحانه متنزه تنزها تاما أن يكون في أفعاله التي بها يوجد ويخلق ،أو أوامره التي بها يحكم ويشرّع أن يرد عليه نقص أو خلل في شيء من ذلك.

ولكن حكمته العظيمة قد تخفى على الناس ،فلا يدركونها لضعف علمهم، ولنقصهم عن إدراك كماله في صفاته، كما قال تعالى: {يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾} [طه: ١١٠] وقال تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾} [الزمر: ٦٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: «وتفصيل حكمة الله في خلقه وأمره يعجز عن معرفتها عقول البشر، والقدريَّة دخلوا في التعليل على طريقةٍ فاسدةٍ مثَّلوا الله فيها بخلقه، ولم يثبتوا حكمةً تعود إليه، فسلبوه قدرته وحكمته ومحبَّته وغير ذلك من صفات كماله، وأثبتوا حسنًا وقبحًا لا يتضمَّن محبوبًا ولا مكروهًا، وهذا لا حقيقة له، كما أثبتوا تعليلًا لا يعود إلى الفاعل حكمه»[1].

و**قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد دلت أدلة العقول الصحيحة والفطر السليمة على ما دل عليه القرآن والسنة أنه سبحانه حكيمٌ، لا يفعل شيئًا عبثًا ولا لغير معنىً ومصلحةٍ وحكمةٍ هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرةٌ عن حكمةٍ بالغةٍ لأجلها فَعَلَ، كما هي ناشئةٌ عن أسبابٍ بها فَعَلَ، وقد دلَّ كلامه وكلام رسوله على هذا وهذا في مواضع لا تكاد تُحصى ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها»[2].

وهذ الوباء الذي أصاب الناس وفجعهم، وانتشر في أصقاع الأرض وأصاب من أصاب ونجا منه من نجا، كل ذلك مقدر من الله لحكمة عظيمة كما تقدم تقريره في المسألة السابقة مدعما بالأدلة، ثم أخذ بعض الناس يخوض في حكمة الله في تقدير هذا الوباء فقائل: يقول قدّر الله رحمة للمؤمنين وانتقاما من الكافرين، وآخر يقول: بل هو سخط من الله على أهل الأرض

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ١٧٧).

(٢) شفاء العليل (٢/ ٥٣٧).

عاقبهم بهذا الوباء لانتشار الكفر والمعاصي، بل أخذ بعضهم يتوسع في الخوض في آثار ذلك وما اتخذه ولاة الأمر في عامة بلاد المسلمين من حظر التجول وتعليق صلاة الجماعة في المساجد حماية للناس وبناء على فتاوى العلماء الكبار في ذلك، فأصبح بعضهم يردد في تغريدات وتصريحات أن الله سخط علينا ومنعنا من الصلاة في المساجد، ولن يعيدنا إليها حتى نتوب وغيرذلك من التخرصات والظنون، والخوض في سر الله المكتوم، والتنقيب عن قضاء الله وقدره، وتدبيره شؤون خلقه، مما لم يُطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فكل ما يتكلم به هؤلاء وغيرهم في هذا الباب من الرجم بالغيب والظنون التي لا تستند إلى علم صحيح؛ فإن القدر سر الله الذي اختص به لنفسه وما علمه أحدا من خلقه، ولا سبيل لتحصيله بوجه من وجوه العلم الصحيح، فيجب الكف عن الكلام في هذا والوقوف عند ما دلت عليه النصوص من العلم الموثق، من أن الله ما قدر شيئا ولا خلقه إلا لحكمة بالغة، والصبر على ما يصيب الإنسان من البلاء، والأخذ بالأسباب الشرعية في دفع البلاء قبل وقوعه ورفعه بعد وقوعه، والرضا عن الله في كل حال وشأن ،والوقوف عند هذا الحد وعدم تجاوزه إلى ما نهينا عنه من التكلف والتنقيب عما لا سبيل لتحصيله من سر الله في قدره وحكمته في تدبير شؤون خلقه.

وأذكّر في هذا المقام بما يُقنع ويكفي كل مؤمن ومسلم ويتحقق به النصح

والشفاء لمن ابتلي بالخوض في هذا الباب من متكلف متنطع: وهو ماجاء من النصوص الصحيحة الصريحة في النهي عن الخوض في القدر وذمه ،ووصايا السلف والأئمة الراسخين في الكف عن الخوض في ذلك وترك التنقيب عن سر الله فيه:

فعن عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إذا ذُكِر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكِرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكِر القدر فأمسكوا**»[(١)].

وعن عمرو بن شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يُفقَأ في وجهه حبُّ الرمَّان من الغضب، فقال: «**بِهَذَا أُمِرْتُمْ، أَوْ لِهَذَا خُلِقْتُمْ، تَضْرِبُونَ الْقُرْآنَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، بِهَذَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ**»[(٢)].

وروى الآجري وابن بطة واللالكائي: أن رجلا جاء إلى علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: أخبرني عن القدر، ؟ قال: «طريق مظلم، فلا تسلكه» قال: أخبرني عن القدر؟ قال: «بحر عميق فلا تلجه» قال: أخبرني عن القدر؟ قال: «سر الله فلا تكلفه»[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه:(ص:١٧)

(٢) أخرجه ابن ماجه (٨٥). وقال الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٥٧): «حسن صحيح».

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٨٤٥) الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ١٤١) شرح أصول اعتقاد =

وقال الإمام أحمد في أصول السنَّة: «وأن لا يخاصم أحدًا ولا يناظره، ولا يتعلَّم الجدال؛ فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروهٌ ومنهيٌّ عنه، لا يكون صاحبه -وإن أصاب بكلامه السنَّة- من أهل السنَّة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار»[(١)].

وقال الإمام الطحاويُّ: «وأصل القدر سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يطَّلع على ذلك ملكٌ مقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، والتعمُّق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلَّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كلَّ الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسةً؛ فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: {لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾} [الأنبياء: ٢٣] فمن سأل: لم فعل؟ فقد ردَّ حكم الكتاب، ومَن ردَّ حكم الكتاب، كان من الكافرين»[(٢)].

وقال ابن بطة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد كان سلفنا وأئمَّتنا -رحمة الله عليهم- يكرهون الكلام في القدر، وينهون عن خصومة أهله ومواضعتهم القول أشدَّ النهي، ويتَّبعون في ذلك السنَّة وآثار المصطفى ﷺ»[(٣)].

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي

أهل السنة والجماعة للالكائي (٤/ ٦٩٥).

(١) أصول السنة (ص: ٢٠-٢١).

(٢) الطحاوية مع شرحها (ص: ٢٢٥).

(٣) الإبانة الكبرى (٣/ ٢٣٨).

=

عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سر الله ونهى الرب تبارك وتعالى الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى رسول الله ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء وتسكت عما سوى ذلك»[(١)].

وقال الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من سر الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق»[(٢)].

وقال ابن عبد البرِّ: «والقدر سرُّ الله، لا يُدرَك بجدال، ولا يشفي منه مقالٌ، والحجِاج مرتجةٌ[(٣)] مغلقةٌ، لا يفتح شيءٌ منها إلا بكسر شيءٍ، وقد تواترت الآثار عن السلف الصالح بالنهي عن الجدال فيه والاستسلام له والإيمان

---

(١) شرح السنة (ص: ٨٠-٨١).

(٢) الشريعة للآجري (٢/ ٧٠٢).

(٣) الحِجاج: جمع حُجَّةٍ، والحُجَّة هي: البرهان. وقال الأزهريُّ: الحجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. ومرتجةٌ: أي مغلقةٌ، يُقال: أرتج الباب ورتجه إذا أغلقه، ومنه قول الناس: أُرتِج على فلانٍ في منطقه، إذا انغلق عليه الكلام. والمقصود أن المحاجَّة في القدر طريقها مغلقٌ لا سبيل فيها لتحصيل العلم؛ لأن القدر سرُّ الله. انظر: جمهرة اللغة لابن دريد (١/ ٣٨٥)، وتهذيب اللغة للأزهري (٣/ ٢٥١)، ومجمل اللغة لابن فارس (ص: ٤١٧).

=

به»[١].

وقال أبو المُظَفَّر السمْعَاني فيما حكاه عنه ابن حجر العسقلاني: «سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين ولا ما يطمئن به القلب؛ لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب»[٢].

وكلام الأئمَّة في ذلك كثيرٌ، مما يدلُّ على اشتهار ذلك عندهم، واستفاضته فيهم، فعلى المسلم الحريص على دينه أن يسلك طريقهم، ويرضى لنفسه ما ارتضوه لأنفسهم، وأن يسعه ما وسعهم، والله الموفق لكل خير وفضل.

---

(١) الاستذكار (٨/ ٢٦٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٧).

المسألة الخامسة:

الدروس والعبر من وجود هذا الوباء

هـذا الوبـاء خلقـه الله وقـدّره لحكـم عظيمـة لايمكـن الإحاطـة بهـا، ولا التوصـل لمعرفتهـا -كمـا تقـدم تقريـره في المسـألة السـابقة -وإنمـا أذكّـر هنـا بـبعض الـدروس والعـبر المسـتفادة مـن وجـود هـذا الوبـاء ،والتي ظهرت في الناس ولمسها كل معتبر ومتدبر، ومنها.

١-ظهور قدرة الله على الخلق، فبخلقه لهذا الفيروس الذي لا يرى بالعين المجردة وتسليطه على الناس وسرعة انتشاره فيهم فقتل من قتل وأودع المستشفيات والمصحات الملايين من المصابين به، ومن سلم منه فهو في فزع وخوف حتى عم الخوف منه سكان الأرض بأسرها ففي ذلك عبرة لكل معتبر.

٢-حكمة الله في تفاوت أثر هذا الفيروس على الناس، فمنهم من أمرضه وشفاه الله، ومنهم من قتله وأبلاه، ومنهم من أصابه بالحزن بفقدِ قريبٍ أو حبيبٍ، ومنهم من أضرَّ به في تجارتهِ، أو نقْصِ مُرتَّبِهِ، أو انقطاعِ مصدرِ رزقِهِ، ومنهم من أثر على دراسته فمنعه من مواصلة دراسته والوصول لجامعته ومعهده، ومنهم من أثر على عبادته فمنعه من الوصول إلى مسجده ومصاحبة من يعينه على عبادته، ومنهم من منعه الحركة والتنقل، والذهاب والإياب، والتزاور والتواصل، والسفر والتنزه، وهذا مما عم أكثر سكان الأرض.

وفي هذا من العبر، وظهور حكمة الله وعظيم قدرته ولطفه ما تتحير فيه العقول، فالسبب واحد، وآثاره متفاوتة متنوعة، فسبحان الحكيم العليم.

٣-إقامة الله الحجة الباهرة على الكفرة والملاحدة والزنادقة الذي ينكرون وجود الله بدعوى أنهم لايؤمنون إلا بالمحسوس المشاهد، فهذا فيروس لايرى بالعين المجردة ، فصدقوا به لما رأوا من آثار قتله وفتكه بهم، أفلا يكون هذا منبها لهم على الإيمان بمن خلقه وقدّره، وكل ما هو في الوجود مسخر بقدرته ومشيئته، وكل مايرى من الخير والنعم فهو من آثار رحمته وإحسانه، وكل ما يصيب الناس من البلاء والمحن فهي من آثار حكمته وعظمته.

٤-قدرة الله على تبديل حال الناس من حال إلى حال بأيسر الأسباب، فها هم أهل الأرض بينما هم في نعمهم الغامرة، وحياتهم المترفة، وأرزاقهم الدارة، وما سخر لهم من النعم من مخترعات وتقنيات، وسبل اتصالات وتنقلات وترفيهات، إذا بهم يفجعهم هذا البلاء فيبدل أمنهم خوفا، وطيب عيشهم كدرا، فيمنع من السفر والتنقل والتجول ،فيصبح الناس سجناء البيوت في خوف وترقب من وصول الفيروس إليهم وهم في عُقْر دورهم وبيوتهم، فمن يصدق أن هذا الأثر العظيم يكون من فيروس واحد صغير في حجمة ضعيف في مقاومته يحدث هذا الأثر العظيم الواسع حتى عم أقطار الأرض لولا أن الله سلطه بقدرته لينفذ به أمر الله في خلقه الذي قدّره بسابق

علمه وحكمته.

٥-فيه تذكير من الله للكفرة والملاحدة، وزجر لهم عن الكفر والظلم، والبغي الذي عمَّ الأرض اليوم، من تكذيب لله ورسله، واستهزاء بالدين، وتقتيل وتشريد للمسلمين، ومحاربة للقيم والمبادئ، ونشر للرذيلة والفساد قال تعالى {سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾} [فصلت: ٥٣]٥-وفيه تنبيه للناس، وحثهم على الإنابة إلى ربهم وخالقهم ورجوعهم عن مخالفاتهم وذنوبهم: قال تعالى {ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾} [الروم: ٤١].

وقد رأينا شواهد هذا حتى في الكفار فنُشر مقطع لوثني يحطم أصنامه لأنها لم تنفعه في أزمة كورونا، ونقلت في وسائل الإعلام مقاطع صوتية ومرئية لرفع الأذان في مكبرات الصوت من مساجد في الدول الأوربية بإذن وبتوجيه من السلطات -رجاء أن يرفع الله عنهم البلاء- من بعدما كان رفع الأذان ممنوعا -بحسب ماجاء في التقرير -، وصرح بعض كبار مسؤولي الدول العظمى أن قدرة البشر عجزت عن مقاومة هذا الوباء وبقي تدبير السماء -على حد تعبيره- وهو يشير إلى قدرة الله تعالى، وأما تذكر المسلمين واستغفارهم وتوبتهم وتضرعهم لله فهذا ما لا يمكن الإحاطة به ولا حصره.

٦-كسر الغرور والعجب لدى بعض الكفرة والملاحدة، ومن انخدع بهم

من جهلة المسلمين ،وما تولد عن ذلك من دعاوى باطلة وأوهام زائفة، ومن ذلك: دعواهم تمكن البشر من السيطرة على العالم، وتمكنهم من تسيير الطبيعة لصالحهم، وسيطرتهم عليها من خلال التقنية وتطور العلم.

بل اطلعت على تغريدة لمسلم أحمق مفتون بالكفرة وحضارتهم يذكر أنه يتوقع أن سيصل التقدم العلمي المعاصر في يوم من الأيام إلى السيطرة على الموت وإنهائه، -عياذا بالله من الضلال- فهذا فيروس متناهي في الصغر عم الأرض وفتك بالناس وأفزعهم فما استطاعوا الحد من انتشاره، فضلا عن علاجه والسيطرة عليه، فكيف بالكون والوجود المسخر من رب العالمين {وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾} [هود: ١٢٣].

٧- لطف الله بعباده المؤمنين ،فإن أكثر فتك هذا الوباء بالكفرة والمشركين، ومن أصابه من المؤمنين فصبر فهو كفارة لذنبه ورفعة لدرجته عند الله، ففي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أن رسول الله ﷺ قال: **«مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»**(١).

٨-فيه إظهار حكمة ورحمة وعدل حكام المسلمين على غيرهم ؛حيث أخذوا بالأسباب في وقاية رعاياهم من هذ الوباء، والقيام على علاج من أصابه

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٢).

منهم، وخاصة ما قامت به هذه البلاد حفظها الله، التي ضربت أروع الأمثلة وأحسن التدابير في اتخاذ الإجراءات الوقائية، وتسخيرها لكل الإمكانيات المادية والمعنوية في الحد من انشار هذا الوباء، ومعالجة المصابين به، والحرص على سلامة قاطني هذا البلاد دون تفريق بين جنس وآخر؛ رحمة وشفقة بالناس، وهذا بخلاف بعض الدول العظمى التي تدعي حقوق الإنسان وتنادي بها تخلت عن شعوبها حتى تكاثر المصابون به فبلغوا الملايين، وقتل منهم مئات الألوف، فأظهر الله بلطيف تقديره فضل الإسلام وأهله على الشرك وأهله، وسيكون لهذا أثره العظيم في اعتناق كثير من غير المسلمين الإسلام بعد هذا الأمر بحول الله وقوته.

المسألة السادسة:

هل هو مصنوع من البشر؟

صاحب ظهور هذ الفيروس إشاعات كثيرة، منها ما أشيع عن سبب ظهوره وأنه من صنع البشر، بل شاع في بعض المواقع تبادل التهم بين الدول العظمى بتهمة تصنيع هذ الفيروس وتصديره للعالم، وتناقل هذا كثير من الناس في مواقع التواصل.

والذي يعنينا في هذا الجانب الأمر العقدي؛ وهو أنه لا يجوز لمسلم أن يعتقد أو يصدق هذا الأمر، فهذا الفيروس تبين بالتحاليل الطبية الموثوقة ومنها ما نشر في موقع وزارة الصحة في بلادنا أنه تم التعرف على هذا الفيروس وأنه كائن حي - كما تقدم -.

وإذا تقرر هذا طبيًّا ومخبريًّا؛ فإنه من المتقرر شرعا أنه لا قدرة للبشر، ولا لغيرهم من الخلق على تصنيع كائن حي مهما صغر حجمه، واعتقاد هذا يستلزم إثبات خالق غير الله ،وهذا مالم يقل به عقلاء الكفرة فضلاً عن المسلمين.

قال تعالى مخبراً عن الكفار: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾} [الزخرف: ٨٧] وقال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ} [العنكبوت: ٦١].

ويقول الله تعالى مخبراً عن تفرده بالخلق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾ [الحج: ٧٣].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ :وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»(١).

والمقصود أنه لا يجوز لمسلم أن ينخدع بهذه التضليلات والتصديق بما يخالف النصوص الصحيحة، بل العقول والفطر السليمة من تفرد الله بالخلق.

وأما إن كان المقصود بتصنيع الفيروس هو القيام بـ(عملية تهجين بينه وبين فيروس آخر) بقصد تقويته ،ثم نشره في الناس، فهذا ما لا يمتنع شرعـًا ولا عقلًا، وهم لا ينزهون عن مثله، فليس بعد الكفر ذنب، لكن لا يجوز أن يسمى هذا تصنيعا وإنما هو تقوية لهذا الفيروس ثم نقله من المكان الذي خلقه الله كما قيل إن أصله وجد في بعض الحيوانات -على ما تقدم - فينقلونه إلى الإنسان بقصد انتشار العدوى به؛ فهذا ممكن شرعـًا وعقلاً.

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥٩) ومسلم (٢١١١).

على أن الباحثين الطبيين نفوا هذا من ناحية طبية وهو أن يكون هناك تدخل بشري في هذا الفيروس.

جاء في مقال بعنوان: (هل كورونا المستجد مصنَّع مخبريا؟ تقرير علمي يكشف الحقيقة)، وفيه: «اتهم البعض الصين بتصنيع وتطوير إحدى سلالات وباء متلازمة الالتهاب الرئوي الحاد (سارس)، الذي نشأ في الصين عام ٢٠٠٣، وتصديره للعالم، خاصة مع تراجع أعداد الإصابات والوفيات هناك، فيما اتهم صينيون الولايات المتحدة بتصنيع الفيروس التاجي الجديد.

لكن دراسة جديدة كليا نشرتها مجلة (نيتشر) العلمية، الثلاثاء، وشارك فيها باحثون من جامعات أدنبرة وكولومبيا وسيدني وتولين، لم تجد أي دليل على أن الفيروس تم صنعه في مختبر أو هندسته بأي شكل آخر، كما أشارت بعض الشائعات، وذلك بعد أن قام العلماء بتحليل بيانات تسلسل الجينوم العام لفيروس كورونا المستجد واسمه العلمي (سارس كوف٢) (SARS-CoV-2) والفيروسات ذات الصلة»[(١)].

وبهذا يتبين بطلان هذه الدعاية المضللة عن تدخل بشري في نقل هذا الفيروس للإنسان. أما القول بأصل التصنيع فهذا ما لا نحتاج في نفيه لتقاريرهم الطبية، بل هو حقيقة شرعية راسخة رسوخ الجبال في قلوب المؤمنين بحمد الله وفضله.

---

(١) انظر موقع الحرة /https://www.alhurra.com/

المسألة السابعة:

هل هو الطاعون؟

لما ظهر هذا الوباء المسمى (كورونا) تكلم الناس فيه وفي حقيقته، ووصفه بعض المنتسبين للعلم بأنه هو الطاعون لكثرة انتشاره وسرعة العدوى به، ثم احتجوا ببعض ماجاء في الطاعون من أحاديث ونزلوا أحكامه على هذا الوباء.

ومحل البحث هنا: هل هذا الوباء هو الطاعون فيأخذ أحكامه، أم أنه غيره فلا تتنزل عليه أحكام الطاعون ؟.

في الحقيقة إن الخلاف في أصل هذه المسألة قديم، وهو أن العلماء المتقدمين اختلفوا في الوباء والطاعون هل متحدان في المعنى وهما مسميان لمرض واحد يسمى طاعونـًا ووباءً، أم أنهما متغايران لكل منهما حقيقة.

والذي عليه أكثر علماء اللغة أنهما شيء واحد ولهذا عرّفوا الوباء بالطاعون:

قال الخليل: «الوباء، مهموز: الطاعون، وهو أيضًا كل مرض عام»(١).

وقال ابن سيده: «الوَباءُ الطاعون، وقيل هو كلُّ مرضٍ عامٍّ»(٢).

(١) العين (٨/ ٤١٨).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٥٦٦).

=

وبهذا قال ابن الأثير وابن منظور والفيروز أبادي، وغيرهم[١].

وبه قال أبو الوليد الباجي من المالكية على مانقله عنه القاضي عياض قال : «وقال القاضى الباجى: الوباء هو الطاعون، وهو مرض يعم الكثير من الناس فى جهة من الجهات دون غيرها»[٢].

وقال ابن جُزي المالكي: «المسألة السادسة: في الطاعون وهو الوباء وإذا وقع بأرض فلا يخرج منها من كان فيها فرارا منه ولا يقدم عليها»[٣].

والذي عليه أكثر المحققين من أطباء وفقهاء أن الوباء أعم من الطاعون فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء: عموم الأمراض، فسميت طاعونـًا لشبهها بالهلاك بذلك، وإلا فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونـًا»[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتحقيق أن بين الوباء والطاعون عمومـًا وخصوصًا فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونًا، وكذلك الأمراض

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٤٤)، ولسان العرب (١/ ١٨٩)، والقاموس المحيط (ص: ٥٥).

(٢) إكمال المعلم (٧/ ١٣٢).

(٣) القوانين الفقهية (ص: ٢٩٥).

(٤) إكمال المعلم (٧/ ١٣٢).

=

العامة أعم من الطاعون؛ فإنه واحد منها»[١].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره للحديث في أن الطاعون لايدخل المدينة «فدل على أن الوباء غير الطاعون، وأن من أطلق على كل وباء طاعونا فبطريق المجاز، قال أهل اللغة: الوباء هو المرض العام، يقال أوبأت الأرض فهي موبئة و وبئت بالفتح فهي وبئة وبالضم فهي موبوءة، والذي يفترق به الطاعون من الوباء أصل الطاعون الذي لم يتعرض له الأطباء ولا أكثر من تكلم في تعريف الطاعون وهو كونه من طعن الجن»[٢].

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ«والوباء غير الطاعون، والطاعون أخص من الوباء وقد اختص أي: الطاعون بكونه شهادة، ورحمة، وبتحريم الفرار منه»[٣].

وقال ابن حجر الهيتمي معلقا على قول السيوطي: «وما أشار إليه من الفرق بين الوباء، والطاعون هو ما عليه الأكثرون خلافا لبعض المالكية حيث زعم أنه هو»[٤].

وقال الزبيدي نقلًا عن بعض العلماء: «إن الطاعون نوع من أنواع الوباء وفرد من أفراده، وعليه الأطباء»[٥].

(١) زاد المعاد (٤/ ٣٥-٣٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٨١).

(٣) الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ١١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاج العروس (١/ ٤٧٨).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والطاعون قيل: إنه نوع معين من المرض يؤدي إلى الهلاك، وقيل: إن الطاعون كل مرض فتاك منتشر، مثل الكوليرا، فالمعروف أنها إذا وقعت في أرض فإنها تنتشر بسرعة، والحمى الشوكية، وغيرها من الأمراض التي يعرفها الأطباء ونجهل كثيراً منها، فهذه الأمراض التي تنتشر بسرعة وتؤدي إلى الهلاك يصح أن نقول: إنها طاعون حقيقة أو حكماً، ولكن الظاهر من السنة خلاف ذلك؛ لأن الرسول ﷺ عَدَّ الشهداء فقال: «المطعون والمبطون»، وهذا يدل على أن من أصيب بداء البطن غير من أصيب بالطاعون، والمبطون هو الذي انطلق بطنه»[(١)].

والصحيح المترجح من أقوال أهل العلم أن الطاعون غير الوباء، وأن الوباء أعم منه والطاعون أخص ،فكل طاعون وباء وليس العكس بصحيح وترجيح هذ القول:

من وجهين صحيحين بدلالة الشرع والواقع:

الوجه الأول: أن الطاعون هو من طعن الجن، كما جاء في الحديث الصحيح.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ** ". **فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا**

(١) الشرح الممتع (١١/ ١١٠).

=

الطَّاعُونُ؟ قَالَ: « وَخزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ »[١].

والعجيب أن العرب كانوا يعرفون هذا ولعلهم استفادوه من الأنبياء السابقين.

قال الجاحظ: «الطّواعين هي عند العرب رماح الجن»[٢].

وقال الزمخشري: «وَكَانَت الْعَرَب تسمي الطَّاعُون رماح الْجِنّ»[٣].

وقد ذكر العلماء في وصف الطاعون أنه قروح خارجة في الجسد.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد»[٤].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو بثر وورم مؤلم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء»[٥].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٩٥٢٨) والبزار في مسنده (٢٩٨٦) والطبراني في الأوسط (٣٤٢٢) قال ابن حجر: «ورجاله رجال الصحيحين إلا المبهم وأسامة بن شريك صحابي مشهور والذي سماه وهو أبو بكر النهشلي من رجال مسلم فالحديث صحيح بهذا» فتح الباري (١٠/ ١٨١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٥١).

(٢) الحيوان للجاحظ (١/ ٢٣٤).

(٣) الفائق في غريب الحديث (٢/ ٤٦).

(٤) إكمال المعلم (٧/ ١٣٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ١٠٥).

وهذا مطابق لخبر النبي ﷺ أنه من وخز الجن لأنه بهذا الوخز تخرج هذه التقرحات.

قال ابن حجر: رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو كونه من طعن الجن ولا يخالف ذلك ما قال الأطباء من كون الطاعون ينشأ عن هيجان الدم أو انصبابه، لأنه يجوز أن يكون ذلك يحدث عن الطعنة الباطنة فتحدث منها المادة السمية، ويهيج الدم بسببها أو ينصب، وإنما لم يتعرض الأطباء لكونه من طعن الجن، لأنه أمر لا يدرك بالعقل وإنما يعرف من الشارع، فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم»[(١)].

وهذا بخلاف الوباء: فإن منشأه من فساد الهواء:

قال ابن سينا: «الوباء فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده»[(٢)].

وقال الإسنوي: «والوباء بالمد: فساد في الهواء أو الماء»[(٣)].

فتبين بهذا التباين بين الطاعون والوباء لاختلاف أسباب الإصابة بكل منهما.

وقد صرح بهذا العلماء قديما، ونقل الزبيدي رَحِمَهُ اللَّهُ هذا عن جمع من المحققين؛ قال بعد نقله الخلاف في حقيقة الطاعون والوباء: «والذي عليه

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٨١)، وانظر: زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٣٦).

(٢) ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون (ص: ٣٨).

(٣) المهمات في شرح الروضة والرافعي (٣/ ٨١).

المحققون من الفقهاء والمحدثين أنهما متباينان، فالوباء: وخم يغير الهواء فتكثر بسببه الأمراض في الناس، والطاعون هو الضرب الذي يصيب الإنحس من الجن، وأيدوه بما في الحديث: (**أنه وخز أعدائكم من الجن**)»[(١)].

وهذا الوباء الجديد المسمى بـ(كورنا)يختلف في سببه وطبيعته عن الطاعون.

فإن هذا الفيروس ينتقل عن طريق العدوى إلى الجهاز التنفسي ويتطور إلى التهاب رئوي حاد، وقد يقتل ولكن لا أثر له على الجلد -كما تقدم عند التعريف به من وصف الأطباء – وهذا بخلاف الطاعون، فتبين أن هذا الفيروس ليس هو الطاعون لا في سببه ولا في أعراضه ولا آثاره.

الوجه الثاني: أن الطاعون لايدخل المدينة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ المَدِينَةِ مَلاَئِكَةٌ لاَ يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلاَ الدَّجَّالُ** »[(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد صرح الحديث الأول بأن الطاعون لا يدخلها، فدل على أن الوباء غير الطاعون، وأن من أطلق على كل وباء طاعونًا فبطريق المجاز»[(٣)].

(١) المصدر السابق.

(٢)أخرجه البخاري (١٨٨٠)، ومسلم (١٣٧٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٨١).

وهذا الوباء (كورونا) دخل المدينة وأصاب الكثير من أهلها.

فهذان وجهان صحيحان قاطعان ظاهرا الدلالة في أن هذا الفيروس ليس هو الطاعون.

فإن الطاعون طعن من الجن، ولا يدخل المدينة بدلالة الأحاديث الصحيحة، وهذا الفيروس ليس كذلك من جهة سببه وأعراضه، ومن جهة دخوله المدينة كما هو مقرر بالواقع المشاهد الذي لا يمكن دفعه والله أعلم.

المسألة الثامنة:

هل هو جندي من جنود الله؟

سبق في بداية البحث ذكر الاختلاف بين الناس في وصف هذا الوباء بأنه (جندي من جنود الله) حيث ذهب إلى صحة هذا الإطلاق بعضهم محتجا لذلك بقوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧} [الفتح: ٧]، بينما يرى آخرون المنع من ذلك والتشديد فيه بحجة أنه أمر غيبي لا يجوز إطلاقه إلا بنص وقد قال الله تعالى {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} [المدثر: ٣١].

وتحقيق هذه المسألة يبنى على الوقوف على ما جاء في كتاب الله في هذه المسألة ومعرفة مراد الله منها، وهل تشهد النصوص لصحة هذا الإطلاق أم لا ؟.

وبالرجوع لكتاب الله باتباع طريقة (السبر والتقسيم) لورود كلمة (جند) ومعانيها ودلالتها؛ تبين أن هذه الكلمة وردت في القرآن بصيغتين:

الأولى: (جند) وهي صيغة جمع من (جندي).

والثانية: (جنود) وهي صيغة جمع كثرة من (جند)[1].

و بحسب إسناد هذا الكلمة (الجند أو الجنود) إلى الله من عدمه تأتي على

---

(١) انظر المفردات للراغب (ص: ٢٠٧) والمصباح المنير للفيومي (١/ ١١١).

ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ورودها مجردة عن الإضافة أو مضافة لغير الله:

أما المجردة عن الإضافة ففي ستة مواطن:

١- قوله تعالى: { وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ۝٢٨} [يس: ٢٨].

٢- قوله تعالى: {لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ۝٧٥} [يس: ٧٥].

٣- قوله تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ} [الأحزاب: ٩].

٤- قوله تعالى: {جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١} [ص: ١١].

٥-قوله تعالى {وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ۝٢٤} [الدخان: ٢٤].

٦- قوله تعالى: {أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝٢٠} [الملك: ٢٠].

وأما المضافة لغير الله ففي موطنين:

١- إضافة (الجنود) إلى إبليس كما في قوله تعالى: {فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ۝٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ۝٩٥} [الشعراء: ٩٤، ٩٥].

٢-إضافة (الجنود) إلى سليمان عليه السلام كما في قوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾} [النمل: ١٧] .

القسم الثاني: ورود كلمة (الجنود) مضافة للسموات والأرض، مع الإخبار بملك الله لهؤلاء الجنود وقد ورد في موطنين: كلاهما في سورة الفتح:

١- قوله تعالى: {هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾} [الفتح: ٤].

٢- قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾} [الفتح: ٧].

القسم الثالث: ورود كلمة (الجند أو الجنود) مضافة إلى الله تعالى وقد وردت في موطنين:

١-في سورة الصافات في قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾}. [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

٢-في سورة المدثر في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾} [المدثر: ٣١].

والقسم الأول: لايدخل في بحثنا؛ لأن المقصود تحقيق مدى صحة إطلاق أن هذ الفيروس (جندي من جنود الله) من عدمه، فليس في تلك المواطن إسناد كلمة (جند) لله لا من حيث الإضافة، ولا من حيث الإخبار بملك الله

لهؤلاء الجند على وجه الخصوص[١] – كما سيأتي في الموطن الثاني –، فلو قُدِّر دخول هذا الفيروس في عموم (الجند) المذكورين في هذه المواطن فغايته صحة تسميته أنه (جندي) وليست هذه مسألتنا، وإن كنت سأتعرض لها تبعا –على ما سيأتي – لحاجة البحث إليها، وأن الصحيح هو عدم دخول هذا الفيروس في عموم لفظ الجند بحسب دلالة الشرع.

وأما القسم الثاني: فورد فيه إضافة الجند (للسموات والأرض) مع الإخبار بأن الله مالك لهؤلاء الجند، دون إضافتهم لله تعالى كما في الموطن الثالث، وبذلك جاءت أقوال المفسرين مؤكدة لهذا الأمر.

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا في معنى: { وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} : «يريد الملائكة والجن والشياطين والإنس»[٢].

وقال أيضا: «الملائكة، وجنود الأرض المؤمنون»[٣].

وقال الطبري «{ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} أنصارًا على أعدائه، إن

---

(١) المقصود دلالة النصوص في هذا الموطن على ملك الله لهؤلاء الجند دلالة خاصة، وأما دلالة الأدلة الأخرى لملك الله لكل مافي الوجود فهذا لا شك فيه وهو أصل الإيمان بربوبيته وخلقه وملكه لكل شيء.

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٦).

=

أمرهم بإهلاكهم أهلكوهم، وسارعوا إلى ذلك بالطاعة منهم له»[1].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يريد أن جميع أهل السموات والأرض ملك له، لو أراد نصرة نبيه بغيركم لفعل، ولكنه اختاركم لذلك، فاشكروه»[2].

وقال السعدي: «الإخبار بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المذل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾}»[3].

فعامة كلام المفسرين يشير إلى أن الجند المذكورين في هذا السياق هم مملوكون لله ولم يقل أحد منهم أنهم (جند الله)، وهذا ظاهر من السياق؛ فإن الله تعالى أضاف الجند في هاتين الآيتين إلى السموات والأرض، ومعلوم أن الإضافة هنا إضافة مكانية أي: الجند اللذين هم في السموات الأرض، ثم أخبر :أنه مالك لهؤلاء الجند، ولم يقل: إنهم جنده، ولم يضفهم إليه سبحانه.

وقد تنبه الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا فكانت عبارته من أدق عبارات المفسرين في هذا الموطن عندما قال: «وما فيهما من الجنود» فلم يقل (جنود الله) ثم قال بعد ذلك: «وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه كما قال تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾}» ففرق بين الجند الذين هم ملكه، وبين الجند الذين

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٩).

(٢) زاد المسير (٤/ ١٢٨).

(٣) تفسير السعدي (ص: ٧٩٢).

أضافهم لنفسه سبحانه، وأنه سبحانه سينصر بالجند الذين هم ملك له، جنده الذي أضافهم لنفسه في قوله ({وَإِنَّ جُندَنَا}».

وبهذا يتبين أنه ليس في هاتين الآيتين دلالة على أن الجند المذكورين فيهما هم جند لله، وإنما دلالتهما على أنهم مملوكون لله، وبه يتبين أن احتجاج من احتج بهاتين الآيتين على أن هذا (الفيروس) المسمى بـ(كورونا) من جند الله لا يستقيم له، وإنما غاية دلالتهما لو سلمنا بصحة تسمية هذا الفيروس أنه (جندي) بأنه من الجند الذين هم ملك لله لا أنه (من جند الله)، وفرق كبير بين الأمرين.

وأما القسم الثالث: فقد تضمن إضافة الجند لله مرة بالإضافة لضمير الجمع الدال عليه سبحانه كما في قوله: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾}[الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

ومرة بالإضافة إلى إسم الرب كما في قوله: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١].

والمقصود بجند الله الغالبين في آية الصافات هم الرسل وأتباعهم الذين استقاموا على طاعة الله، وقد دل على هذا المعنى كتاب الله في أكثر من موطن وهو قول عامة المفسرين:

أما دلالة كتاب الله: فقوله تعالى قوله تعالى: { كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠

وَرُسُلِيٓۚ} [المجادلة: ٢١]وقوله تعالى: {فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٥٦} [المائدة: ٥٦].

وقوله تعالى: لموسى وهارون: {أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝٣٥} [القصص: ٣٥].

وقد استدل بهذه الآية على تفسير آية الصافات جمع من أهل العلم كالقرطبي[(١)]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)] وابن القيم[(٣)] وابن كثير[(٤)] والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمهم الله جميعا[(٥)].

وأما أقوال المفسرين: في تفسير هذه الآية: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ۝١٧٣} [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

فقال الطبري: «يقول: وإن حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون»[(٦)].

وقال الزجاج: «حزب الله لَهُمُ الغَلَبَة»[(٧)].

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٦).

(٢) انظر قاعدة في المحبة (ص: ١٤٣) ومجموع الفتاوى (٢٨/ ١٦٥).

(٣) إغاثة اللهفان (٢/ ١٧٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥).

(٥) أضواء البيان (٥/ ٢٦٦).

(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٦٥٨).

(٧) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٣١٦).

=

وقال السمعاني: «أي: الغلبة تكون للمؤمنين»[(١)].

وقال البغوي: «أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة»[(٢)].

وقال ابن دريد: «هم أهل السنة»[(٣)].

وقال عبد الوهاب الوراق: «إن لم يكونوا هذه العصابة فلا أدري أي عصابة هي»[(٤)].

وقال أبو بكر الخلال: «فهي عصابة أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذابون عن السنة المحيون لما أماته الناس من السنن»[(٥)].

وقال الشوكاني: «والمراد بجند الله حزبه وهم الرسل وأتباعهم»[(٦)].

وقال السعدي: «وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلا»[(٧)].

---

(١) تفسير السمعاني (٤/ ٤٢٠).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٥٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٢٢).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٧).

(٧) تفسير السعدي (ص: ٢٣٦).

وأما آية المدثر وهو قول الله تعالى: {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} [المدثر: ٣١].

فالمقصود بالجنود هنا هم الملائكة على ما يدل على ذلك السياق وسبب نزول الآية.

أما السياق: فظاهر فإن الله لما ذكر في سورة المدثر النار وأخبر عن خزنتها فقال: {عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠} [المدثر: ٣٠] ثم قال في الآية التي تليها {وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا} [المدثر: ٣١].

ثم قال في آخر هذه الآية {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١} [المدثر: ٣١] فدل على أن المعني بالجنود هنا هم الملائكة ومنهم خزنة النار.

وأما سبب نزل الآية: فجاء عن ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزلت هذه الآية {عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠} قال أبو جهل لقريش: «ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم»، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ}[1].

(١) انظر تفسير البغوي (٥/ ١٧٨).

فدل أن الجنود في الآية هم الملائكة.

وبهذا قال عامة العلماء من مفسرين وغيرهم فإنهم لا يكادون يذكرون هذه الآية إلا في مقام الاستدلال بها على الملائكة:

قال عطاء : «{وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار»(١) وبهذا قال ابن الجوزي(٢).

وعن الحسن :«أن سائلا سأل رسول الله عن خلق الملائكة من أي شيء خلقت، فهو قوله: «{وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ}»(٣).

وقال مقاتل: «{وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ}، هذا جواب أبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر»(٤).

وقال أبو العباس القرطبي: «وأما هذا العدد المحصور للملائكة فكأنه عدد رؤسائهم، وأما جملتهم فالعبارة عنها ما قال الله تعالى: {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ}»(٥).

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ١٧٨).

(٢) زاد المسير (٤/ ٣٦٤).

(٣) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ٦٠).

(٤) تفسير البغوي (٥/ ١٧٨).

(٥) المفهم (٧/ ١٨٧).

=

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل أحياء ناطقون أعظم مخلوقات الله وهم كثيرون، كما قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}»[1].

وقال ابن كثير: «{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} أي: ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط»[2].

وفي تفسير الجلالين: «{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}: أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم»[3].

وقال السعدي: «فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة وغيرهم {إِلَّا هُوَ}»[4].

وبمجموع ما تقدم من أدلة وشواهد، وأقوال للعلماء في تفسير هاتين الآيتين من كتاب الله الواردتين في إضافة الجند لله يتبين: أن المراد بالجند المضافين لله هم من استقام على طاعته، من الملائكة والرسل وعباد الله الصالحين لا غير.

أما آية الصافات فالمقصود بالجند فيها الذين لهم الغلبة هم الرسل

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء (ص: ٢٠٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٠).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٧٧٧).

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٩٧).

وأتباعهم الذين استقاموا على طاعة الله، وأما آية المدثر فالمقصود بالجند فيها الذين لايحصي عددهم إلا الله هم الملائكة.

وبهذا الاستقراء لورود لفظ (الجند) في كتاب الله وأقوال العلماء المحققين من مفسرين وغيرهم في بيان معناه يتبين أن وروده على قسمين:

القسم الأول: عموم الجند وهم كل من أخبر الله عنهم ووصفهم بذلك، إما إخبارا مطلقا كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾} [الفتح: ٧]: أو مقيدا كقوله في جند فرعون: {وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾} [الدخان: ٢٤]وقوله تعالى في أهل الأحزاب {إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا}[الأحزاب: ٩]: وقوله تعالى عنهم: {جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾} [ص: ١١] وقوله في جنود إبليس: {وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾} [الشعراء: ٩٥] وقوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾} [النمل: ١٧].

فكل هؤلاء: مملوكون مقهورون لله تعالى بنص قوله تعالى: {وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾} [الفتح: ٧]: {وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾} [الفتح: ٤]وكذا يدخل في هذا العموم كل من يشملهم لفظ (الجند) في لغة العرب التي نزل بها القرآن ومعنى الجند في اللغة: هم كل جماعة اجتمعوا على نصرة أمر بحق أو باطل ويطلق

عليهم العسكر[1].

القسم الثاني: الجند الذي أضافهم الله لنفسه سبحانه في قوله تعالى: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصافات: ١٧٣] وقوله تعالى: {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} [المدثر: ٣١].

فهؤلاء مؤمنون ممتثلون لطاعته وهم الملائكة والرسل وسائر المؤمنين كما تقدم.

فالقسم الأول من الجند: ممتثلون لأمر الله الكوني مسخرون بقدرته.

والقسم الثاني منهم: ممتثلون لأمره الشرعي مستجيبون لطاعته.

وإذا تقرر هذا نقول إن هذ الفيروس لايصح أن يوصف بأنه من (جند الله) وليس في نصوص القرآن مايشهد لهذا بوجه والله أعلم، بل الذي دل عليه القرآن هو المنع من القول بأنه (من جند الله) إذ جند الله الذين أضافهم الله لنفسه هم من امتثل أمره الشرعي، وهم المخاطبون بالدين من ملائكته ورسله وعباده الصالحين، وليس هذا الفيروس وغيره من المخلوقات الأخرى التي ليست من أهل التكليف ممن يدخل في هذا العموم.

وبقي بعد ذلك هل يصح أن يقال هو جندي مطلقا فهو داخل في عموم الجنود المملوكة لله فيجوز القول بأنه (جندي مملوك لله) كسائر الجنود الذين

---

(١) انظر مقاييس اللغة (١/ ٤٨٥)، والمفردات للراغب (ص: ٢٠٧).

قال الله فيهم: { وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [الفتح: ٧].

فالجواب أن هذا الإطلاق لا يصح أيضا لأن لفظ (الجند والجنود) لفظ شرعي ورد في كتاب الله كما تقدم في مواطن كثيرة، وتعلق بذكره أخبار كونية وأحكام شرعية، فلا يجوز أن يتوسع في حده ويدخل فيه مالم يدل عليه النص، وإلا حصل الخلل الكبير في تنزيل الأخبار والأحكام على غير مراد الله منها، كما لا يجوز أن يدخل في عموم لفظ (المؤمنين) ما ليس منهم من الكفار ؛إذ لوحصل هذا لحُكم للكافر بالفلاح ودخول الجنة، وكذا لا يجوز أن يدخل في عمو م (الكافرين) ماليس منهم من العصاة، ولو حصل هذا لحُكم للعصاة بالخلود في النار، وهكذا بقية المسميات والأوصاف الشرعية لا يجوز التوسع في إدخال ما ليس منها فيها، ولا أن يُقصر بها عن عمومها فيخرج منها ماهو داخل فيه.

والذي دل عليه القرآن أن الجند والجنود أطلقت على عدة أجناس من المخلوقات وهي: أربعة أصناف.

الصنف الأول :(**الملائكة**) ودل على ذلك قوله تعالى: وقوله تعالى: {وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ} [المدثر: ٣١] كما تقدم في أقوال المفسرين أن الجنود هنا هم الملائكة، وقوله تعالى: {فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ} [الأحزاب: ٩].

قال الطبري: «وهي الملائكة التي ذكرت في الأخبار التي قد

مضى ذكرها»[1].

الصنف الثاني: (**الأنس**). سواء كانوا مؤمنين كما في قوله تعال {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصافات: ١٧٣] فهم الرسل وأتباعهم كما تقدم نقل أقوال المفسرين في ذلك.

أو كافرين: كما في قوله تعالى عن جند فرعون: {وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾} [الدخان: ٢٤].

الصنف الثالث: (**الجن**) ودل على ذلك قوله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾} [النمل: ١٧].

الصنف الرابع: (**الطير**) ودل على ذلك الآية السابقة ،فقد دلت على جميع أصناف الجنود عدا الملائكة.

فهذا غاية ما أحسب -بعد التتبع والاستقراء -أن القرآن دل عليه في معنى الجند فلا يجوز بعد ذلك أن يُنزل هذا الوصف وهو الجند على غير ما دلت عليه النصوص، فيطلق على فيروس أنه من الجند، ومن باب أولى وأحرى أن لا يقال إنه من جند الله كما تقدم تقريره بالأدلة.

وتتأكد هذه النتيجة الاستقرائية للنصوص وكلام المفسرين والعلماء المحققين بعدم صحة إطلا ق مسمى الجند على هذا الفيروس (كورونا) كما

(١) تفسير الطبري (١١/ ٣٩٥).

لا يجوز قطعا أن يقال إنه (من جند الله) بعدة وجوه أخرى وهي:

الوجه الأول: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: { وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} : «يريد الملائكة والجن والشياطين والإنس»[1] فهذه الآية جاءت بالخبر عن الجند في أعم سياق وهو إضافتهم للسموات والأرض، فلم يبق فرد من أفراد الجند لم يدخل في هذا العموم، ثم فسره ابن عباس بأعم تفسير لمعنى الجند، وأن هذا يشمل الجند من الملائكة والجن والإنس.

وقال تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾} [النمل:١٧]. فدلت الآية على زيادة جنس الطير زيادة على ما ذكره ابن عباس، فالآيتان بمجموعهما وعمومها لكل جند السموات والأرض، ولكل الجند الذين سخرهم الله لسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ وتفسيرهما المأثور عن ابن عباس -ترجمان القرآن- لم تدل إلا على أربعة أجناس فقط من الجند وهم المتقدم ذكرهم، ولو بقي من جنس الجند غير هؤلاء لذكروا.

الوجه الثاني: قال الله تعالى {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾} [الأحزاب: ٩] وهذه الآية جاءت في سياق امتنان الله على النبي ﷺ والمؤمنين وصرفه أعداءهم وهزمه

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٤).

=

إياهم لما تألبوا عليهم في غزوة الأحزاب[1].

فنصرهم الله بالريح والملائكة بنص الآية، ولو كان لفظ الجنود يطلق على غير من تقدم تسميتهم من الجند، لكان أولى ما يدخل فيه (الريح)التي نصر بها نبيه ﷺ وأصحابه، ولقال الله تعالى (فأرسلنا عليهم جنودا) فدخلت الريح في عموم الجنود، فلمّا ذكر (الريح) ثم عطف عليها (الجنود) علمنا أن الريح ليست من الجنود، ويؤيد هذا قول الله تعالى في حق سليمان: {فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾} [ص: ٣٦] ولم تذكر الريح مع الجند الذين حشروا لسليمان في قول الله تعالى: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾} [النمل: ١٧] فدل على أنها ليست من الجند، وهذا مؤكد لما سبق تقريره من حصر الجند بحسب دلالة القرآن فيما تقدم، فدل على عدم صحة إطلاق الجند على الفيروس المذكور.

الوجه الثالث: قال تعالى في عذاب قوم فرعون: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾} [الأعراف: ١٣٣].

فلم يسم الله الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم جنودا، وهي مسخرة ومرسلة منه. بل سماها آيات، وكذلك لم يقل أحد من السلف وأئمة

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٣٨٣).

التفسير أن هذه المذكورة من جند الله. مع إخبار الله بأنه هو المرسل لها، فكيف يقال الآن في هذا الفيروس الذي لا يُعلم حكمة الله في تقديره وقد فتك بالمؤمنين وتضرروا منه كما تضرر منه الكفار أنه من جند الله.

الوجه الرابع: أن الله عذّب أهل الفيل وأهلكهم بالطير الأبابيل، كما قال تعالى: {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣} [الفيل: ٣] وما وصف الله هذه الطير بأنها (جند) أو أنها (من جند الله) وهو المرسل المسخر لها المعذب بها، وكذلك لا يعرف في كلام العلماء قديما وحديثا أنهم وصفوا هذه الطير بأنها (جند من جنود الله)، فمن الجرأة بعد ذلك أن يقال في هذا الفيروس الذي فتك بالناس وأضربهم أنه من جند الله ،وإنما العدل أن يقال وجوده مُقدّر من الله لحكمة كما أن كل ما في الوجود هو بتقديره سبحانه ومقتضى حكمته.

الوجه الخامس: أن الله عذّب بعض بني إسرائيل بالطاعون على ماجاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: « **الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[(١)].

فأخبر النبي ﷺ أن الله أرسل الطاعون على بني إسرائل وعذّبهم به فلم يصفه بأنه جندي أرسله الله بالعذاب وإنما وصفه بأنه (رجز) وفي رواية البخاري:«**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ** » وكذلك قال الله تعالى: في الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم إنها (رجز)كما في

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٣)، ومسلم واللفظ له (٢٢١٨).

قوله تعالى {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾} [الأعراف: ١٣٤].

وقد سبق تسمية الله لها آيات، وهذ الفيروس لوسلمنا أنه من جنس العذاب الذي أصاب الله به الأمم الماضية، وقسناه على الطاعون والقمل والضفادع فليس لنا أن نزيد في وصفه على أنه (عذب) أو (رجز)كما دلت على ذلك النصوص دون التجاوز إلى القول أنه (من جنود الله).

الوجه السادس: أن القياس الصحيح يدل على المنع من وصفه هذا الفيروس بأنه (من جنود الله) فإن الله نصر نبيه بالملائكة الكرام وعذّب بهم الكفار .كما قال الله {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ} وأيد نبيه موسى عليه السلام وهزم فرعون بالجراد والقمل والضفادع .فقال تعالى {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ} [الأعراف: ١٣٣].

فالله نصر بالملائكة وعذّب بهم ووصفهم بأنهم (جند)ونصر الله بالجراد والقمل والضفادع وعذّب بها ووصفها بأنها (رجز) فهل مقتضى العقل والفقه لو سلمنا أن هذا الفيروس أرسله الله نصرة للسلمين، وانتقاما من أعداء الله الكافرين أن يقاس على الملائكة فيعطى وصفهم فيقال هو (جندي) أو (من جنود الله)أو يقاس على الجراد والقمل والضفادع فيقال هو (رجز)عذّب الله

به الكفار!! لا شك أن الثاني هو الأولى كما لا يخفى على كل صاحب نظر.

الوجه السابع: أنّ من القواعد المقررة عند أئمة أهل السنة التي دلت عليها الأدلة في باب ما يضاف إلى الله :أنه لايضاف إلى الله المخلوقات الوضيعة مع أن الله خالق كل شيئ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن الله خالق كل شيء ومريد لكل حادث، ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستقذر من المخلوقات، وما يستقبحه الشرع من الحوادث، بأن يقول على الانفراد: (يا خالق الكلاب)و(يا مريدا للزنا) ونحو ذلك، بخلاف ما لو قال: يا خالق كل شيء ويا من كل شيء يجري بمشيئته»[(١)].

وقال شارح الطحاوية: «الله خالق السماوات والأرض ومن فيهن، ولا تقل: (الله خالق الحشرات) و(خالق الكلاب)، أو: الله (رب الكلاب) هذا منكر»[(٢)].

ونظير ما تقدم من الشواهد التي ذكر العلماء هذا الوباء والفيروس فإنه من المخلوقات الوضيعة فلا ينبغي أن يقال (الله خالق الوباء)أو(خالق كورونا) تأدبا مع الله مع أنه لايشك أن هذا الفيروس داخل في عموم المخلوقات، وإذ لم يجز هذا الإطلاق فيما هو مقطوع به وهو أن الله خالق لهذا الفيروس

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للبراك (ص: ٢٤٨).

وغيره، فكيف يجوز أن يطلق على أمر لم يدل عليه دليل بوجه بل ظاهر الأدلة على المنع منه فيقال إنه (من جنود الله).

الوجه الثامن: أن الشر لايضاف إلى الله قال النبيِّ ﷺ: « **وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» [١]، ومعنى هذا أن الشر المحض لا يقدّره الله ولايخلقه، والشر الذي في القدر هو جزئي وهو باعتبار آخر خير، فلايضاف إلى الله مجردا عن الخير الذي فيه.

قال ابن القيم: «ولهذا تأدب العارفون من عباده بهذا الأدب فأضافوا إليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور إلى محلها كما قال إمام الحنفاء: {ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠} [الشعراء:٧٨-٨٠]، فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء إلى ربه» [٢].

وهذا الوباء مرض يسببه هذا الفيروس فلا يضاف تقديره إلى الله على سبيل الانفراد تأسيا بخليل الله فضلا أن يقال هو (من جنود الله).

الوجه التاسع: أنه طرد هذا الإطلاق (كورونا من جند الله) لو كان صحيحا أن يقال في غيره من الفيروسات وكل متسبب في نقل الأمراض- إذا أصاب الكفار-أنه (من جنود الله) ويتوسع الناس في هذا فيقال :(السرطان من جنود الله) و(الإيدز من جنود الله) و(والوباء الكبدي من جنود الله)و(الإنفلونزا من

(١) أخرجه مسلم (٧٧١)

(٢) شفاء العليل (ص: ١٦٩).

جنود الله) و(البعوض الحامل للملاريا من جند الله) و(الذباب في نقله للأمراض أنه من جند الله) وهذا لم يقل به أحد من علماء المسلمين بل عوام المسلمين ينزهون الله عن هذه الإطلاقات ويستوحشون منها، وقد فتكت هذه الأوبئة المذكورة بالكفار قديما وحديثا وقتلت أضعاف ماقتل هذا الفيروس ولم يقل العلماء في واحدٍ منها أنها من جند الله.

الوجه العاشر: أن هذا الإطلاق (كورونا من جند الله)إذا خوطب به الناس مع فتك هذا الفيروس بهم وقتله الكثير منهم، وإضراره بهم ضررا بالغا، من تعطيلهم عن مصالحهم وتأثيره في اقتصادهم وكافة مرافق حياتهم، فإن هذا سينفرهم من دين الله ويوجب إساءة الظن بالله ولربما تعرض بعضهم إذا ما سمع هذا الإطلاق إلى سب الله تعالى -عياذا بالله من ذلك -، والشريعة جاءت بسد الذرائع المفضية للمخالفات فكيف بالمنكر العظيم والكفر الصريح بسب الله تعالى، وقد ذكر أحد الكتاب أن هذا قد وقع من بعض الكفار لما سمع هذا الإطلاق -تعالى الله عما يقول الجاهلون الظالمون علو كبيرا-.

وإذا كان الله نهى عن سب آلهة الكفار حتى لا يكون ذريعة لسبهم الله فقال: {وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨] فكيف باستثارتهم في هذا الفيروس الذي تضرر به العالم أجمع، وعانوا منه ما عانوا، ثم يقال لهم هذا الفيروس جندي من جنود الله أرسله إليكم، ألا

يكون هذا أدعى لتعرضهم لله جهلا وعدوا بغير علم، ويكون من أطلق هذا ممن تسبب في فتنتهم وصرفهم عن الله وعن دينه الحق.

وبه ختام هذه المسألة والله الهادي للصواب.

الفصل الثاني

أحكامه الشرعية الدينية

ويشتمل على ست مسائل:

المسألة الأولى: الموقف الشرعي من وجوده وتقديره.

المسألة الثانية: هل يفرح به أم يحزن له؟.

المسألة الثالثة: حكم ذمه ووصفه بأوصاف الذم .

المسألة الرابعة: هل يأخذ حكم الطاعون في أحكامه؟.

المسألة الخامسة: في غسل موتاه وتكفينهم والصلاة عليهم.

المسألة السادسة: في الحكم لموتاه بالشهادة.

المسألة الأولى:

الموقف الشرعي من وجوده وتقديره

يقوم الموقف الشرعي الذي دلت عليه النصوص من هذا الوباء على عدة أمور دلت عليها النصوص الشرعية:

الأمر الأول: الإيمان بقضاء الله وقدره فيما قدّر من هذا الوباء، واعتقاد أن هذا الوباء مقدر من الله، سواء التقدير العام في وجوده، أو التقدير الخاص في حق من أصابه، وأن هذا مكتوب في الأزل لا ينجي منه حذر، ولا يدفعه ضجر.

قال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾} [الحديد: ٢٢].

وقال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾} [التغابن: ١١].

قال علقمة بن قيسٍ: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلِّم ذلك ويرضى»(١).

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان لا يتحقق الإيمان إلا به على ماجاء في حديث حديث جبريل، وفيه: قول النبي ﷺ « **وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ**

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢).

=

وَشَرِّهِ»[1].

الأمر الثاني: الصبر على هذا البلاء، وما نجم عنه من آثار أخرى تضرر الناس بها في معاشهم وسائر أحوالهم، واحتساب الأجر في ذلك عند الله، والاسترجاع فيما أصاب الناس من ذلك قال تعالى: {ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦} [البقرة: ١٥٦].

وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ١٠} [الزمر: ١٠].

وأمر المؤمن كله خير ما صبر على البلاء وشكر على النعماء.

قال النبي ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[2].

ومما يعين على الصبر على المرض وآثاره، ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة أن ما يصيب المؤمن من المرض والألم تكفير للخطايا ورفع للدرجات عند الله، إذا ما صبر العبد على ذلك، وأن الله يُجْري على المريض عمله الذي كان يعمل صحيحا إذا ما حبسه المرض عن ذلك.

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ**

---

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

=

يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[١].

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ، أنه قال: « **لَيْسَ مِنْ عَمَلِ يَوْمٍ إِلَّا وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ، فَإِذَا مَرِضَ الْمُؤْمِنُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبَّنَا، عَبْدُكَ فُلَانٌ قَدْ حَبَسْتَهُ، فَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: اخْتِمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَمُوتَ** »[٢].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»[٣].

الأمر الثالث: التوكل على الله في دفع المرض والسلامة منه قبل نزوله ،وفي رفعه بعد نزوله ،وللتوكل على الله أثر عظيم في تحقيق مطالب الدنيا والآخرة.

قال تعالى: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾} [الطلاق: ٣].

وقال تعالى: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣١٦) وقال محققوا المسند «حديث صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٦).

وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾} [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

وقال النبي ﷺ في صفة السبعين الألف من هذه الأمة الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب: «**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»(١).

وقال ابن عباس: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»(٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ «وحقيقة التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه»(٣).

الأمر الرابع: بذل الأسباب في توقي هذا الوباء قبل وقوعه.

ومنها:

١) دعاء الله والتضرع إليه بالسلامة من هذ الوباء.

فيتوجه المسلم لربه بالسلامة والعافية من هذا الوباء لنفسه وأهله

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٤) ومسلم (٢١٨).

(٢) التوكل على الله لابن أبي الدنيا (ص: ٥٠).

(٣) جامع العلوم والحكم (٣/ ١٢٦٦).

وللمسلمين.

فالدعاء من أعظم الأسباب في استجلاب الخير والنعم، ودفع الشرور والنقم، ومن ذلك السلامة من الأمراض والمعافاة منها.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ومن الأدعية العظيمة المأثورة عن النبي ﷺ التي ينبغي أن يَحرص عليها المسلمُ في الصباحِ والمساءِ ما جاء في حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكَرَةَ، أَنَّهُ قَالَ لِأَبِيهِ: يا أبه، إِنِّي أَسْمَعُكَ تَدْعُو كُلَّ غَدَاةٍ: «**اللهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ تُعِيدُهَا ثَلَاثًا حِينَ تُصْبِحُ، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي**»، وَتَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، تُعِيدُهَا حِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثًا، وَثَلَاثًا حِينَ تُمْسِي**»، قَالَ: «**نَعَمْ يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَدْعُو بِهِنَّ، فَأُحِبُّ أَنْ أَسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ**»[(١)].

٢) التحصين بالأذكار والأدعية، خصوصا الأذكار الواردة في الحفظ والتحصين.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٤٣٠)، وحسن الألباني إسناده في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥٠٩٠).

=

كما في حديث خَوْلَةِ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**»(١).

وما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ إِذَا أَمْسَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ اللَّيْلَةَ**»، قَالَ: «**فَكَانَ أَهْلُنَا قَدْ تَعَلَّمُوهَا، فَكَانُوا يَقُولُونَهَا، فَلُدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ، فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا**»(٢).

٣) عزل المريض الذي أصيب بهذا الوباء واعتزاله وقد دلت على ذلك السنة فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»(٣).

وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ قال النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»(٤).

وهذا مما يؤكد صحة الإجراءات التي اتخذتها الدولة –وفقها الله– بضرورة عزل المرضى، والمنع من التجمعات التي قد تؤدي إلى مخالطتهم، حرصا على سلامة الناس ووقايتهم من هذا الوباء.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٧٨٩٨) وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

(٣) تقدم تخريجه (ص:٢٨)

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٧١)، ومسلم (٥٨٤٦).

الأمـر الخـامس: بـذل الأسـباب في دفـع هـذا الوبـاء بعـد وقوعـه، فقـد شـرع الله لنـا بـذل الأسـباب في جلـب الخيـر ودفـع الضـررومن ذلـك بذل الأسباب في رفع الأمراض بعد وقوعها.

كما قال النبيُّ ﷺ: « **احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(١).

فأمر النبي ﷺ بالأخذ بالأسباب والحرص على ما ينفع وهذا مقتضى العمل بالشرع، وأرشد عند المصيبة أن يقال: « **قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**»، وهذا مقتضى الإيمان بالقدر ونهى عن التحسر على ما فات مخبرا أنه يفتح عمل الشيطان.

ومن أعظم الأسباب الشرعية التي أرشدت إليها النصوص في دفع المرض بعد وقوعة أمران:

الأول: الرقية.

فالرقية من أبلغ الأسباب الشرعية النافعة في رفع المرض والمعافاة منه وقد رخص فيها رسول الله ﷺ.

فعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

اللهِ، كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»[(١)].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الرُّقْيَةِ ؟ فَقَالَتْ: «**رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، لأَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِي الرُّقْيَةِ مِنْ كُلِّ ذِي حُمَةٍ**» [(٢)][(٣)].

الثاني: التداوي.

فالتداوي مُرخَّصٌ فيه في الشرع بل جاء في السنة ما يَحثُ عليه ومن ذلك إخبارُ النبي ﷺ بأنه: (ما من داء إلا وله دواء) وفي هذا إرشاد إلى التداوي وبذل الأسباب في تحصيله.

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، عن النبي ﷺ قال: « **مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً** »[(٤)].

وروى مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٥٧٨٣).

(٢) الحُمَةُ: السُمُّ، يطلق على سُمُّ الحية والعقرب إذا لدغت. انظر الزاهر لابن الأنباري (٢/ ٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٤١) ومسلم (٥٧٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٧٨).

(٥) أخرجه مسلم (٥٧٩٢).

وقد كتبت في ذلك رسالة سميتها:(**الأسباب الشرعية الناجعة في الوقاية من الأمراض الوبائية الفاجعة**) وقد تضمنت عدة أسباب في توقي هذا المرض قبل وقوعة ،وفي دفعه- بإذن الله- بعد وقوعه، وقد فصّلت فيها بعض ما أجملته هنا من الأسباب في توقي هذا الداء والأسباب في دفعه بمشيئة الله وقوته، فليراجعها من أراد المزيد من البيان والتفصيل.

المسألة الثانية:

هل يفرح به أم يحزن له؟

تقدم وجوب الصبر على هذا الوباء كما يشرع الصبر على كل بلاء، والإنسان بحكم طبيعته إما أن يفرح بالأشياء أو يحزن لها ؛فإن قلبه مفطور على ذلك، والفرح والحزن معفو عنهما إن لم يحمل الفرح على بطر والحزن على تسخط.

قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبرا»[(١)].

والأصل في الناس أنهم يفرحون بما يقدر لهم من الخير والنعم، ويحزنون لما يصيبهم من البلاء والنقم، ولما عمّ هذا الوباء الأرض وتنوعت آثاره في الناس، اختلف الناس فيه فمنهم من يرى أنه موجب للفرح لإصابته للكفار ففيه انتقام منهم للمسلمين في ظلمهم لهم، ومنهم من يقول أضر بالناس وتعطلت بسببه مصالح المسلمين في دينهم ودنياهم فلا يفرح به بل يحزن له، وفيما يلي بيان للحق في المسألتين بحسب ما دلت عليه النصوص وأصول الشريعة.

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ٣٢).

أولا: مسألة الفرح:

هذا الوباء لا يجوز أن يطلق عليه حكم واحد من جهة الفرح به من عدمه، من غير تفصيل في ذلك، فإنه أصاب المسلمين والكفار، أما إصابته للمسلمين فلا يفرح به بل الفرح به من الشماتة بالمسلمين والشماتة بالمسلم محرمة.

قال رسول الله ﷺ: « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** »(١).

ومن لوازم محبة المسلم لأخيه أن يفرح لفرحه بما يحصل له من الخير والنعم، ويحزن لحزنه بما يصيبه من البلاء والنقم.

والفرح بما يصيب المسلمين من المصائب هذه من أخلاق المنافقين .قال تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران: ١٢٠].

روى الطبري عن الربيع بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «هم المنافقون إذا رأوا من أهل الإسلام جماعة وظهورا على عدوهم، غاظهم ذلك غيظا شديدا وساءهم ، وإذا رأوا من أهل الإسلام فرقة واختلافا، أو أصيب طرف من أطراف المسلمين، سرهم ذلك وأعجبوا به»(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٧٢٢).

وهذا الأمر واضح بيّن ولا يحتاج إلى مزيد استدلال.

وأما الفرح بما يصيب الكفار من هذ الوباء ففيه تفصيل: بحسب ما دلت عليه الأدلة، وما قرره العلماء في هذه المسألة.

والأصل في هذا أن الفرح المشروع هو المذكور في قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾} [يونس: ٥٨] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففضل الله ورحمته القرآن والإيمان ،من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به،ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ،ووضع الفرح في غير موضعه»[(١)].

وقال تعالى: {فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾}. [الروم: ٤، ٥].

فالفرح المحمود هو الفرح بالقرآن والإيمان، وبما كان فيه عز الدين ونصر المؤمنين:

وعليه فإن ما يصيب الكفار من المصائب والبلاء على قسمين:

القسم الأول: مافيه نفع أو نصر للمؤمنين، كهلاك بعض أعداء الدين الصادين عن دين الله المؤذين للمسلمين، فهؤلاء يفرح بهلاكهم وما يصيبهم

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٩).

من البلاء والأمراض لا لذا ت المصيبة ولكن لما يترتب على ذلك من نفع للمسلمين:

وقد نُقل عن بعض السلف الفرح بموت بعض رؤوس أهل البدع المضللين للناس والمؤذين لأهل السنة، فكيف بمن هم أشد نكاية بالمسلمين منهم من الكفرة والزنادقة الصادين عن دين الله المؤذين لعباد الله.

ومن ذلك فرح علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقتل الخوارج وسجوده شكرا لله لما رأى رئيسهم وهو (ذُو الثُّدَيَّةِ) في القتلى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الخوارج: «وقاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذكر فيهم سنة رسول الله ﷺ المتضمنة لقتالهم وفرح بقتلهم وسجد لله شكرا لما رأى أباهم مقتولا وهو (ذُو الثُّدَيَّةِ) بخلاف ما جرى يوم الجمل وصفين؛ فإن عليا لم يفرح بذلك بل ظهر منه من التألم والندم ما ظهر»(١).

وقيل للإمام أحمد: «الرجل يفرح بما ينزل بأصحاب ابن أبي دؤاد، عليه في ذلك إثم؟ قال: «ومن لا يفرح بهذا؟» ثم قال: «هؤلاء أرادوا تبديل الدين»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٣٩٥).

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (٥/ ١٢١).

وقال الخطيب البغدادي في ترجمة عبيد الله الخفاف المعروف بابن النقيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان شديدا في السنة، وبلغني أنه جلس للتهنئة لما مات ابن المُعَلِّم شيخ الرافضة، وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة: (الحسن بن صافي بن بزدن): «كان رافضيا خبيثا متعصبا للروافض، وكانوا في خفارته وجاهه، حتى أراح الله المسلمين منه، وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحا شديدا، وأظهروا الشكر لله، فلا تجد أحدا منهم إلا يحمد الله»[(٢)].

وقال البغوي في تفسير قوله تعالى: {فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾} [الأنعام: ٤٥]: «حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم لأنه نعمة على الرسل، فذكر الحمد لله تعليما لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذا أهلك المكذبين»[(٣)].

وقال الشوكاني: «قوله: والحمد لله رب العالمين أي :على هلاكهم، وفيه تعليم للمؤمنين كيف يحمدونه سبحانه عند نزول النعم التي من أجلها هلاك

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ١١٦).

(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٣٣٨).

(٣) تفسير البغوي (٣/ ١٤٤).

=

الظلمة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فإنهم أشد على عباد الله من كل شديد»[(١)].

القسم الثاني: ما يصيب الكفار من البلاء مما ليس للمسلمين فيه نفع، كهلاك بعض عامتهم من غير المحاربين للإسلام وأهله، فهذا لا يُفرح به، ويدل على هذا قول الله تعالى: {لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾} [الممتحنة: ٨].

فأذن الله بالبر والإقْساط إلى الكفار غير المحاربين، ومن برهم عدم الفرح بمصائبهم، والفرح بالمصائب من الشماتة .قال ابن فارس الشماتة: «الفرح ببلية العدو»[(٢)].

وقال هارون لموسى عليهما السلام: {فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ} [الأعراف: ١٥٠] فدل على أن الشماتة تكون بالعدو، وعليه فإن الشماتة بغير العدو ظلم، وهذا يتنافى مع الإقساط إليهم وهو العدل. قال الطبري في معنى: {وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ} يقول: «وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم، وبرِّكم بهم»[(٣)].

وسُئِلَ العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ: رحمه الله-: «لو قُتِلَ عدو الإنسان ظلمًا

---

(١) فتح القدير (٢/ ١٣٣).

(٢) مجمل اللغة (ص: ٥١١).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ٥٧١).

وتعديًا فَسَرَّهُ قتله وفرح به، هل يكون ذلك سرورًا بمعصية الله أم لا؟ قال: إن فرح بكونه عُصِيَ الله فيه فبئس الفرح فرحه، وإن فرح بكونه تخلص من شره وخلص الناس من ظلمه وغشمه، ولم يفرح بمعصية الله بقتله، فلا بأس بذلك؛ لاختلاف سببي الفرح»[(١)].

وسئل الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن فرح المسلم إذا أصيب الكفار بمصيبة؟ فقال: «المصيبة التي تنفع المسلمين يفرح بها، إذا كان فيها نفع للمسلمين يفرح بها: {قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟} [يونس: ٥٨] إذا كان شيء ينفع المسلمين: انهزم الجيش، هداهم الله للإسلام، يفرح»[(٢)].

فقيّد رحمه الله المصيبة التي يُفرح بها ما كان فيه نفع للمسلمين، فدل على أن ما لا نفع فيه للمسلمين من المصائب التي تنزل بالكفار لا يُفرح بها.

وكذلك أفعال السلف الذين فرحوا بما أصاب المخالفين إنما كان لما في بلائهم وهلاكهم من النصر للمسلمين والتخلص من شرهم؛ لأنهم رؤوس في البدع، فدل على أن غيرهم ممن ليس في هلاكهم أو ما يصيبهم من البلاء نفع للمسلمين لا يفرح به، والله أعلم.

---

(١) قواعد الأحكام (٢/ ٣٩٧).

(٢) . مادة صوتية منشورة على الشبكة تحت عنوان (مشروعية الفرح بما يصيب الكفار لما فيه من العبرة للشيخ عبدالعزيز بن باز)

ثانيا: مسألة الحُزن.

وأما الحُزن: لهذا الوباء ولغيره من البلاء مما يصيب الإنسان وغيره من المسلمين فإنهم معفو عنه، وقد وقع الحزن لصفوة الخلق وهم الرسل والأنبياء، قال الله تعالى عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: {وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ} [يوسف: ٨٤] وقال النبي ﷺ، عند موت ابنه إبراهيم: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**»(١).

فدل على عدم المؤاخذة بالحزن عند المصائب، فإن الحزن يكون في القلب وهو مباح عند المصيبة إن لم يحمل على التسخط.

والحزن وإن كان في أصله مباحا لكن إن كان لما يصيب المسلمين من البلاء فهو ممدوح هنا إذ هو مقتضى ماوجه إليه النبي ﷺ في قوله « **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ** »(٢) وقد تقدم أن من لوازم محبة المسلم لأخيه أن يفرح لفرحه ويحزن لحزنه، وهو لازم ظاهر لقوة الإيمان، ومحبة الخير للمسلمين والتألم بآلآمهم، وهذه منزلة رفيعة في الفضل لكن ينبغي ضبطه بألا يتجاوز إلى ما يحرم من التسخط وما في معناه، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٩٠)

المسألة الثالثة:

حكم ذم هذا الوباء ووصفه بأنه خبيث أو قاتل أو شرس وغيرذلك من ألفاظ الذم

الحكم في هذه المسألة محل تفصيل بحسب تعلق الذم وله ثلاثة أنواع من التعلق:

النوع الأول: أن يتعلق الذم بوجود هذا الوباء وانتشاره أو الإصابة به:

كأن يقول القائل: (منذ أن وجد هذا الوباء ونحن في بلاء) أو يقال: (أصابنا منه شر)، أو: (ما رأينا منه إلا الشر) أو: (ما هذا الوباء؟! ما أشده ؟!)، أو يقال: (ما هذا المرض؟!أضر بنا في كل شيئ. ؟!) أونحوها من العبارات.

فهذا لايجوز لأنه تسخط ويتنافى مع الصبر المأمور به عند المصائب، وقد تقدم أن هذا الوباء مقدّر من الله فوجب الإيمان بذلك والصبر على قضاء الله، مع الأخذ بالأسباب في مدافعة هذا الوباء وعلاجه.

والله أخبر في كتابه أن كل ما يصيب الناس من البلاء أنه مقدر منه سبحانه وبإذنه، قال تعالى: {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ} [التغابن: ١١] وقد تقدم قول علقمة بن قيسٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلِّم ذلك ويرضى»[(١)].

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢).

وقال تعالى: {وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ}

[النساء: ٧٨].

فمن ذم المصيبة ذم مقدرها وخالقها، ولذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: « **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ:، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** »[١].

النوع الثاني: **أن يتعلق الذم بالأثر المترتب على هذا الوباء كالألم والحمى لمن أصيب به أو الحجر على المصاب به، أو العزل عن الناس للمشتبه بهم، أو الآثار الأخرى من اقتصادية أو اجتماعية.**

فهذه الآثار لا يجوز ذمها والتسخط منها أيضا، والنهي عن ذمها من وجهين:

الأول: وجه عام: وهو ما تقدم من أن الذم والتسخط مما يصيب الإنسان محرم، والواجب الصبر على البلاء سواء كان البلاء مباشرا كما تقدم في النوع الأول، أو أثرا ناتجا عنه كما في هذا النوع.

الثاني: وجه خاص، وهو نهي النبي عن سب الحمى على ما أخرج مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: «**مَا لَكِ؟ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦).

=

تُزَفْزِفِينَ؟» قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

وهذا دليل على المنع من سب الحمى وهي من أثر المرض، وكذلك باقي الآلام في حكم الحمى ،وقد علل النبي ﷺ النهي عن سب الحمى أنها تكفر الذنوب، فكذلك كل الآثار الناتجة عن هذ الوباء مما يتألم له الناس حسا أو معنى، مقيسة على الحمى في النهي عن سبها لمشاركتها في العلة الموجبة من المنع من سبها وهي: (تكفير الخطايا)وقد قال النبي ﷺ: **«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»**(٢).

النوع الثالث: أن يتعلق الذم بالفيروس نفسه المسبب لهذا الوباء والمسمى بفيروس (كورونا).

والعلماء المتقدمون لا يُعرف لهم قول في هذه الفيروسات المسببة للأمراض لأن اكتشافها كان حديثا مع التقدم في الطب، وأما العلماء المعاصرون فهم مختلفون في ذم هذه الفيروسات المسببة للأمراض كوصفها بأنها خبيثة وغير ذلك من ألفاظ الذم:

فمن قائل بجواز ذلك بناء على أن هذه الفيروسات مخلوقة وقد دلت

(١) صحيح مسلم (٢٥٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١).

النصوص على ذم بعض المخلوقات ووصفها بالخبث:

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن حكم وصف (خبيث) لمرض السرطان: فأجاب:

«ما أعلم فيه شيئًا، مثلما يقال: تمر خبيث، {وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ} [البقرة: ٢٦٧] يعني: رديء، هذا هو، يعني: مرض مخيف»، فقيل له: ما يكون من السبّ؟ قال: «لا ما هو سب»[(١)].

وكذا يرد في كلام الشيخ الألباني في مواطن وصف السرطان بالخبيث: ومن ذلك قوله: «من أقوى أسباب المرض الخبيث السرطان هو الدخان»[(٢)].

وقوله: «أما الدخان فخبيث جداً، منه الداء الخبيث هذا السرطان»[(٣)].

ومن العلماء من منع من ذلك:

سئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: «والدي توفي بمرض سرطان خبيث ...»، ومما جاء في جوابه: «ويكره وصف المرض بأنه خبيث»[(٤)].

وسئل الشيخ عبد المحسن العبَّاد حفظه الله: «هل يمكن أن يقال عن

(١) موقع الإمام ابن باز على الشبكة.

(٢) جامع تراث الألباني في الفقه (١٧/ ٥٧٣).

(٣) جامع تراث الألباني في الفقه (١٧/ ٥٧٥).

(٤) مجلة الدعوة" العدد (٢٠٠٩) ٤ شعبان ١٤٢٦هـ.

=

السرطان إنه المرض الخبيث ؟ فأجاب: «لا ينبغي أن يُطلق على الأمراض لفظ (الخبيث)، وإنما يسمَّى باسمه، أو بالشيء الذي يدل عليه، ولا يوصف المرض بأنه خبيث»[1].

والذي يظهر والله أعلم أن وصف هذه الفيروسات بأوصاف الذم إذا لم يرد مورد التَّسَخط وإنما من باب وصف هذا الفيروس بما فيه كأن يوصف السرطان بأنه (خبيث)، أو هذا الفيروس بأنه (خبيث، أو قاتل، أو شرس) في مقابل الفيروسات التي توصف في اصطلاح الأطباء بأنها (حميدة) أو (غير خطيرة) فلا بأس به لأن المخلوقات توصف بما قام بها من الخير والشر ولابأس بذلك إذا تحقق صحة الوصف في المخلوق.

ومما يدل على ذلك ماجاء في كتاب الله من وصف بعض المخلوقات بالخبث: كما في قوله تعالى: {ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ} [النور: ٢٦] وقوله عزوجل: {وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} [الأعراف: ٥٨] ووصف بعض المخلوقات بالإفساد كما في قوله تعالى: {وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ} [البقرة: ٢٢٠] ووصف بعض المخلوقات بالشر كما في قوله عزوجل: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢}. [الفلق: ١، ٢] ووصف بعض المخلوقات بالبغي: كما في قوله سبحانه: {۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ

---

(١) شرح سنن الترمذي" (كتاب الطب، شريط رقم ٢٢٣).

مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ} [القصص: ٧٦].

ومن السنة قول النبي ﷺ في المستيقظ من نومه من غير ذكر ولا صلاة: « **أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ** »[١] وقوله ﷺ: « **مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ،** »[٢].

إلى غير ذلك مما جاء من النصوص في وصف بعض المخلوقات بما قام بها من شر وخبث وفساد، وكذا هذه الفيروسات المسببة للأمراض فإنها توصف بما قام بها من الأوصاف الذميمة وليس هذا من السب لها وإنما هو من باب الخبر عنها بما قام فيها، أو من الوصف الذي تعرف به وتتميز عن غيرها، وقد يضطر الأطباء ومن يقوم على توعية الناس صحيا إلى مثل هذا من باب تحذير الناس من هذه الأوبئة، والتعريف بمدى خطورتها وآثارها ليكون الناس على حذر منها وهذه مصلحة راجحة.

وإذا جاز شرعا ذكر الرجل المسلم بما فيه من الذم والنقص في مقام النصح والاستشارة وغيرها من صور الغيبة المباحة[٣]مع تحريم الغيبة من حيث الأصل فكيف بهذا الفيروس الضار الفتاك الذي ليس حرمة المسلم،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٧٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٨)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٣) قال النووي رحمه في رياض الصالحين (ص: ٤٣٢): «اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بهاً وهو ستة أسباب».

وليس له حكم الغيبة المحرمة، فذكره بما فيه في مقام التحذير من باب أولى وأحرى، والله تعالى أعلم.

المسألة الرابعة:

هل يأخذ هذا الوباء حكم الطاعون في أحكامه ؟

تقدم في المسألة السادسة من الفصل الأول أن الطاعون غير الوباء، وأن الوباء أعم من الطاعون فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعونا، ولما انتشر هذا الوباء (كورونا)وهو من الأمراض الحادثة احتاج الناس إلى معرفة أحكامه، فبدأ الكلام في ذلك، ثم تنوعت أقوال المنتسبين للعلم في حكم هذا الوباء، فما بين ملحق لهذا الوباء بالطاعون لمجامعته له في كونه وباءً معديا، وما بين مانع من ذلك، وتحقيق هذه المسألة القياسية يتطلب النظر في الأصل المقيس عليه، والفرع المقيس ومدى مطابقة الفرع للأصل في علة الحكم من عدمه.

ومدار البحث هنا على مسألتين هما أشهر أحكام الطاعون وهما محل التنازع في طردها في هذا الوباء من عدمه وهما على النحو الآتي:

المسألة الأولى: (حكم الفرار من هذ الوباء) وهل يلحق بالطاعون، في نهي النبي ﷺ عن الفرار منه كما في حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

«الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ»[1].

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٧٢)

والذي يظهر بعد التأمل أن هذا الوباء لا يأخذ حكم الطاعون في حكم الفرار منه بحيث يقال أنه إذا وجد في بلد لا يخرج منه ولا يدخل إليه، وترجيح ذلك من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن هذا الوباء يختلف في طبيعته، وسببه، وأعراضه، وآثاره، وطريقة انتقاله، عن الطاعون، كما تقدم ذلك مفصلا فلا يلحق بالطاعون، وقياسه على الطاعون في الحكم قياس مع الفارق والقياس مع الفارق باطل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكل من ألحق منصوصا بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد، وكل من سوى بين شيئين أو فرق بين شيئين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله فقياسه فاسد»[١].

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ: أمر بالفرار من المجذوم على ما تقدم في الحديث: «**فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»[٢].

وكان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ «**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ**»[٣].

وقد كان السلف وأهل العلم من بعدهم على العمل بهذين الحديثين

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ١٥٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص:٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٣١).

=

والتباعد عن المجاذيم.

فعن الزهرى أن عمر بن الخطاب قال لمعقيب: «اجلس منى قيد رمح، وكان به ذلك الداء وكان بدريًا»[(١)].

و عن خارجة بن زيد قال: «كان عمر إذا أتى بالطعام وعنده معيقيب قال: كل مما يليك، وايم الله لو غيرك به ما بك ماجلس منى على أدنى من قيد رمح»[(٢)].

وكان أبو قلابة يتقى المجذوم[(٣)].

وقال ابن بطال نقلا عن بعض السلف: «قالوا: أمر النبي بالفرار من المجذوم واتقاء مؤاكلته ومشاربته، فغير جائز لمن علم أمره بذلك إلا الفرار من المجذوم»[(٤)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في شرح حديث (فر من المجذوم): «قال بعض العلماء: وفي هذا الحديث - وما في معناه -: الدليل على أنه يفرق بين المجذوم وامرأته، إذا حدث به الجذام وهى عنده لموضع الضرر، إن لم

(١) تهذيب الآثار (مسند علي) للطبري / (٣/ ٣٢).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٩/ ٤١١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

=

ترض المقام معه»[1].

وقال ابن القيم في سياق حديثه عن الجذام: «وهذه العلة عند الأطباء من العلل المعدية المتوارثة، ومقارب المجذوم، وصاحب السل يسقم برائحته، فالنبي ﷺ لكمال شفقته على الأمة، ونصحه لهم، نهاهم عن الأسباب التي تعرضهم لوصول العيب والفساد إلى أجسامهم وقلوبهم»[2].

فإذا تقرر بهذا أن الجذام معدٍ، وأن النبي ﷺ أمر بالفرار منه ومباعدته، أخذا بالسبب في توقي المرض وانتقال العدوى بإذن الله، ودلت على ذلك سنته القولية والفعلية، وفهم بعض السلف مع تقرير جمع من العلماء لذلك، فإن قياس هذا الوباء الجديد (كورنا) على الجذام أولى من قياسه على الطاعون؛ فإن كلا من الجذام وهذا الوباء ينتقلان عن طريق الملامسة والمصافحة، ومن لطائف الاتفاق بينهما أن عمرا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يأمر من به جذام أن يبتعد عنه قدر رمح، وقد وجه الأطباء بعد تجارب وتحاليل لأسباب انتقال هذا الوباء الجديد إلى ضرورة التباعد بين الناس بمقدار متر ونصف للتوقي من انتقال العدوى بهذا المرض، وهذا دليل على التوافق بين الجذام وهذا الوباء في طريقة العدوى، وهذا مما يوكد أن قياس هذا الوباء على الجذام هو الأولى، وأن يفر من هذا الوباء ولوكان بالخروج من البلد الذي هو فيه إلى

(١) إكمال المعلم (٧/ ١٦٤).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٣٦).

بلد آخر لأن النبي ﷺ ما نهى عن بلد فيه الجذام ألا يخرج منه ولا يدخل إليه، وإنما قال ذلك في الطاعون ،والفرق بين الطاعون وبين هذا الوباء ظاهر كما تقدم.

الوجه الثالث: نقل بعض العلماء الإجماع في جواز الفرار من الوباء ،وعده هذا من المفارقات بين الطاعون والأوبئة الأخرى:

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والوباء غير الطاعون، والطاعون أخص من الوباء وقد اختص أي: الطاعون بكونه شهادة، ورحمة، وبتحريم الفرار منه، وهو من الوباء بغيره كالحمى، ومن سائر أسباب الهلاك جائز بالإجماع»[(١)].

قال ابن حجر الهيتمي: «وخَرَج بالفرار من محل الطاعون الفرارُ من أرض الوباء فإنه جائز بالإجماع»[(٢)].

وهذ النقل من هذين العالمين نص في المسألة مع نقلهما الإجماع عليه ،وأن الوباء يفارق الطاعون في جواز الفرار منه، وهذا الفيروس من الأوبئة يشمله حكمها في جواز الفرار منه وعدم إلحاقه بالطاعون.

الوجه الرابع: أن العلماء مختلفون في نهي النبي ﷺ عن دخول البلد الذي فيه طاعون والخروج منه، وذهب جمع من العلماء إلى أن هذا تعبدي:

---

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ١١).

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/ ١١).

قال ابن حجر: كتابه في (الطاعون): «الفصل الثالث: ذكر بيان الحكمة في النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فرارا منه ثم قال:

«ذهب بعض أهل العلم إلى أن ذلك أمر تعبدي لايعقل معناه والسبب عندهم في ذلك أن الفرارمن المهلكات مأمور به، وقد صح النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون، فكان ذلك لسر فيه لا تعلم حقيقته فالاولى فيه التسليم وامتثال ما أمر به الشارع، وذهب كثير من العلماء إلى التعليل وأبرزوا حِكَما في ذلك»[1].

فعلى هذا القول لا يقاس على الطاعون غيره في هذا الأمر، لأنه أمر تعبدي لا تعقل الحكمة منه فيقاس عليه غيره، وهذا القول هو من القوة بمكان يؤيده أن النبي ﷺ ما أمر بهذا في غير الطاعون من الأمراض المعدية الأخرى فلو كانت العلة المنع من تفشي المرض لأمر بذلك في غير الطاعون.

الوجه الخامس: أن العلماء الذين عللوا المنع من دخول بلد الطاعون والخروج منه مختلفون في علة ذلك على أقوال متعددة ،وملخص ما نقله ابن حجر من أقوال في ذلك:

أ-أن الطاعون في الغالب يكونا عاما في البلد الذي يقع به ،فلا يفيد الفرار منه ،بل إن كان حضر أجل الشخص فهو ميت سواء أقام أم ارتحل.

(١) بذل الماعون في فضل الطاعون (ص: ٢٠٣).

ب-أن الخارج يقول لو لم أخرج لمت، ويقول المقيم لو خرجت كما خرج فلان لسلمت فيقع في (لو) المنهي عنها.

ج- أن الإقدام عليه يعرّض النفس للبلاء ولعله لايصبر ،والفرار فقد يكون داخلا في باب التوغل في الأسباب متصورا النجاة من قدر الله.

د- أن الحكمة من المنع لأن سبب المرض قد تَحكَّم فلا مفر منه.

هـ: أن الحكمة من ذلك عدم ترك المرضى بغير قيّم عليهم.

والمقصود هو بيان اختلاف العلماء في علة المنع من الدخول لبلد الطاعون والخروج منه، وأنه ليس هناك شيء قاطع يستند إليه، فالقياس على علة ظنية لا يجوز .قال تعالى: {إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ} [يونس: ٣٦]، وأيضا فعامة التعليلات لم تذكر أن العلة من ذلك المنع انتقال العدوى، وهذه العلة هي التي يتسند إليها من يقول بقياس هذا الوباء على الطاعون من المعاصرين، وهذه العلة لم يقل بها إمام يقتدى به في الأصل المقيس عليه فكيف يبنى على علة غير ثابته ؟!،والقياس على علة باطلة باطل.

الوجه السادس: قال ابن حجر في آخرالفصل السابق بعد إيراد كلام العلماء في التعليل:

«وهذا والمذكور أولا مبني على أن الوباء والطاعون متحدان ،وعلى أن سبب الطاعون فساد الهواء وقد قدمت في آخر الباب الأول ما يخالف

ذلك»[١].

وهذا ترجيح منه أن قياس الوباء على الطاعون في حكمه غير صحيح لاختلاف ما بينهما.

المسألة الثانية: من مات بهذا الوباء هل له حكم الشهيد قياسا على الطاعون ؟:

كما جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرها « أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ »[٢].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺقال: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ »[٣].

والصحيح أن من مات بهذا الداء لايحكم له بالشهادة قياسا على من مات بالطاعون ؛لاختلاف ما بين الوباء والطاعون كما تقدم تقريره، والقياس لا يصح مع الفارق كما سبقت الإشارة إليه.

---

(١) المصدر السابق٣٠٦

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٣٢)، ومسلم (١٩١٦).

=

وقد تقدم قول السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والوباء غير الطاعون، والطاعون أخص من الوباء وقد اختص أي: الطاعون بكونه شهادة، ورحمة، وبتحريم الفرار منه»[1].

وعلى هذا فليس لأحد أن ينّزل حكم الشهادة لمن مات بالطاعون، على من مات بهذا الوباء، كما صدرت بذلك فتاوى لبعض المراكز في بعض الدول العربية وانتشرت في مواقع التواصل فاغتر الناس بها، ثم هل يحكم للميت بهذا الوباء بالشهاد ة بأدلة أخرى ؟.هذا ما سيأتي بحثه في موطنه من البحث.

---

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر الهيتمي (٤/ ١١).

المسألة الخامسة:

في غسل موتاه وتكفينهم والصلاة عليهم

غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه فرض كفاية على الأمة لقول النبي ﷺ في الذي وقصته دابته: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ، وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[(١)].

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ ناقلا الإجماع على ذلك: «غسل الميت فرض كفاية، وكذا التكفين والصلاة عليه والدفن بالإجماع»[(٢)].

وموتى هذا الوباء من المسلمين يجتهد في القيام بحقوقهم على إخوانهم بعد الموت، من الغسل والتكفين والصلاة، مع الاجتهاد في الأخذ بالأسباب في توقي انتقال العدوى للقائمين على تجهيز هؤلاء الأموات، والاحتياط في ذلك، مع التوكل على الله في ذلك من قبل وبعد.

فإن تعذر ذلك كما في بعض الأماكن التي لا توجد فيها وسائل وتجهيزات وقائية للقائمين على تجهيز هؤلاء الموتى، ويخشى انتقال العدوى إليهم، فإنه يتدرج في القيام بحق الغسل بحسب القدرة والاستطاعة، مع مراعاة مصلحة القائمين على تجهيز الأموات وعدم الاضرار بهم لقول الله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (١٢٠٦).

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢/ ٩٨).

ولقول النبي ﷺ: « **إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا [ص:٩٥] أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** »[١] ولقوله ﷺ: « **لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ** »[٢].

وقد أمر النبي ﷺ في شهداء أحد لكثرتهم بتكفين الرجلين والثلاثة في الثوب الواحد وبجمع الاثنين والثلاثة في قبر واحد[٣].

وكان الأصل أن يكفَّن كل ميت في كفن مستقل، ويدفن في قبر منفرد، لكن رخص النبي ﷺ في هذا عند الضرورة، وكذلك الغسل يأخذ حكم التكفين والدفن في فعل المقدور عليه من الغسل، أو ما يقوم مقامه عند تعذُّر الغسل المشروع للميت.

فإن تعذَّر مباشرة غسله ودلكه، صُب عليه الماء، فإن تعذر يُمِّمَ فإن تعذر دفن بطبيعته.

وقد صرح بهذا الفقهاء ،وفي بعض كلامهم التصريح بجواز ترك الغسل خوفا على الغاسل من انتقال مرض معدٍ ،وهذا نص في مسألتنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٦٥) وحسنه محققو المسند. جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/ ٢١٠)وقال ابن رجب في جامع العلوم (٢/ ٢١٠)«وقد ذكر الشـيخ رحمه الله (يعني النووي) أن بعض طرقه تقوى ببعضوهو كما قال»

(٣) انظر مصنف ابن أبي شيبة ١١٦٥٤) والمعجم الكبير للطبراني (١٤٨١٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٤/ ١٦).

=

جاء في المدونة عن الإمام مالك: «وسئل مالك عن الذي تصيبه القروح فيموت وقد غمرت القروح جسده، وهم يخافون غسله أن يتزلع، قال: يصب عليه الماء صبا على قدر طاقتهم»[(١)].

وقال ابن الحاجب المالكي: «ومن تعذَّر غسله يُمِّمَ كعدم الماء، وتقطيع الجسد، وكرجل مع نساء غير محارم»[(٢)].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا تعذر غسل الميت لفقد الماء أو احترق بحيث لو غسل لتهرى لم يغسل بل ييمم وهذا التيمم واجب لأنه تطهير لا يتعلق بإزالة نجاسة فوجب الانتقال فيه عند العجز عن الماء الي التيمم كغسل الجناية ولو كان ملدوغا بحيث لو غسل لتهرى أو خيف على الغاسل يمم لما ذكرناه»[(٣)].

وقال ابن قاضي شهبة: «(ومن تعذَّر غسله) لفقد الماء، أو احتراق، أو لَدْغ، ولو غسل، لتهرّى، أو خيف على الغاسل ولم يمكنه التحفظ (يُمِّمَ) قياسًا على الجنابة»[(٤)].

وقال ابن قدامة: «ومن تعذَّر غسله لعدم الماء أو خيف تقطعه به كالمجذوم والمحترق ييمم، لأنها طهارة على البدن فيدخلها تيمم عند العجز

---

(١) المدونة (١/ ٢٦١).

(٢) جامع الأمهات (ص: ١٣٧).

(٣) المجموع (٥/ ١٧٨).

(٤) بداية المحتاج في شرح المنهاج (١/ ٤٦٦).

=

عن استعمال الماء كالجنابة، وإن تعذَّر غسل بعضه يمم لما لم يصبه الماء، وإن أمكن صب الماء عليه وخيف من عركه صب عليه الماء صبا ولا يعرك»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على كلام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ: «في قول المؤلف رحمه الله من تعذر غسله يُمِّمَ ، هذا مبني على هل تغسيل الميت عبادة، لأن الموت حدث أو إن تغسيله تطهير؟ إن قلنا بالأول صح أن يقال إنه إذا تعذر تغسيله ييمم وكيفية تيميمه؟ أن يضرب الحي يديه على التراب ثم يمسح بهما وجهه وكفيه أما إذا قلنا إن هذا تطهير وتعذر التغسيل فإنه يسقط ويكفن بدون شيء»[2].

وإذا تقرر هذا فإنه لا ينبغي الترخص في ترك غسل موتى هذا الوباء ابتداءً قبل استنفاد كل الأساليب والطرق لتغسيلهم على الوجه المشروع، خاصة مع تقدم الوسائل والأساليب التي يتمكن معها القائمون على تجهيز هؤلاء الأموات القيام بواجبهم دون أن يلحقهم ضرر، من معقمات وملابس واقية ووسائل وأدوات للتغسيل، ولهذا ما كان متعذرا في الزمن الماضي أصبح سهلا ميسرا في الزمن الحاضر مع هذ التقدم الصناعي الكبير، وهذا ما حصل في بلادنا من إسناد تغسيل موتى هذ الوباء لكوادر طبية مدربة فقاموا بالواجب

---

(١) الكافي (١/ ٢٥٤).

(٢) تعليقات ابن عثيمين على الكافي لابن قدامة (٢/ ٣٣١).

الشرعي في حقهم من تغسيل وتكفين وصلاة ودفن، ولم يلجؤوا للرخصة في ذلك كما حصل في بعض الدول الأخرى فجزاهم الله عن الإسلام خيرا وثبتهم على طاعته وأيدهم بنصره وتوفيقه.

المسألة السادسة:

في الحكم لموتاه بالشهادة

قبل بيان حكم هذه المسألة الخاصة لابد من التنبيه على مسألة (الحكم بالشهادة) على وجه العموم إذ الحكم على الشيئ فرع عن تصوره كما هو معلوم:

فأقول: (الحكم بالشهادة) باب توقيفي مرجعه للشرع لا يدرك بالاجتهاد والنظر، ولايجوز الخوض فيه بـالتَّخَرُّصِ والظنون وإنما مرجعه للأدلة الصحيحة.

والحكم بالشهادة في النصوص يأتي على مرتبتين:

المرتبة الأولى: حكم مطلق: وهو الحكم بالشهادة لوصف عام ،كأن يقال من فعل كذا فهو شهيد ،أو من مات بكذا فهو شهيد.

وشاهده ما أخرجه الشيخان في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: **الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ»**[1].

وفي المسند وغيره قال رسول الله ﷺ: « **الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللهِ الْمَطْعُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَبْطُونُ**

(١) أخرجه البخاري (٢٨٢٩) ومسلم (١٩١٤).

شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ الْحَرِيقِ شَهِيدٌ، وَالَّذِي يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدَةٌ»[(١)].

وهناك أحاديث أخرى في أصناف الشهداء.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة»[(٢)].

والشهادة لهؤلاء الأصناف تكون شهادة مطلقة تنزل على هذا الأوصاف، فيقال ما قال النبي ﷺ المطعون شهيد، والمبطون شهيد، وهكذا.، ولايجوز تنزيل الحكم بالشهادة لمعين ممن قامت به هذه الأوصاف لما ثبت في الصحيحين: أن رجلا أصيب بسهم بعد رجوع النبي ﷺ وأصحابه من خيبر فمات فقال بعض الصحابة: هنيئا له الشهادة، فقال رسول الله ﷺ:« **بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا**»[(٣)].

وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٧٥٣) وأبو داود (٣١١١) والنسائي (١٨٤٦)، وصححه محقق المسند.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥).

=

مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله ﷺ: « **كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -** »[١].

وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خطبته: «تقولون في مغازيكم، قُتل فلان شهيدا، ومات فلان شهيدا، ولعله أن يكون قد أوقر دف راحلته أو عجزها[٢] ذهبا أو فضة يريد الدنانير والدراهم، ألا لا تقولوا ذاكم، ولكن قولوا: كما قال رسول الله ﷺ: «**من مات في سبيل الله أو قتل فهو شهيد**»[٣].

وفي تراجم البخاري: «باب لا يقال فُلانٌ شَهِيدٌ، قال أبو هريرة، عن النبي ﷺ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ** »[٤].

وهذا دليل على المنع من الحكم لمعين بالشهادة، وإن قام به وصف محكوم له بالشهادة.

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤).

(٢) الوقر: هو الثقل. والدف: جانب سرج البعير والمعنى من الجملة أي: أثقل دابته بمايحمل عليها من الذهب أوالفضة. وهو كناية عن الحرص على جمع المال. انظر الصحاح (٢/ ٨٤٨) لسان العرب (٩/ ١٠٤).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٢٣) وسعيد بن منصور (٥٩٦) ٣٤٠)، وأحمد في مسنده (٣٤٠)، قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٩٠) «وهو حديث حسن»، وقال محققوا مسند أحمد: «إسناده قوي»

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٣٧-٣٨).

وهذا ما نبه عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهو المحدث الملهم - وأنه ليس كل من مات في المعركة يريد الجهاد في سبيل الله، وإنما العبرة بما قام في القلوب من المقاصد والنيات، وقد أشار إلى هذا أيضا البخاري في ترجمته المتضمنة النهي عن القطع لمعين بالشهادة محتجا لذلك ببعض أقوال النبي ﷺ في الإخلاص في الجهاد.

المرتبة الثانية: حكم لمعين بالشهادة، كشهادة النبي ﷺ بالشهادة لعمه حمزه بأنه سيد الشهداء فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ**»(١) وشهادته ﷺ لعمر وعثمان بالشهادة على ماجاء في صحيح البخاري من حديث أنس أن النبي ﷺ صعد أحدا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» (٢) فالصديق أبو بكر والشهيدان عمر وعثمان وهذا من آيات نبوته فقد ماتا مقتولين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

إلى غير ذلك ممن شهد لهم النبي ﷺ بالشهادة، فهؤلاء يشهد لأعيانهم بالشهادة للتنصيص عليهم من رسول الله ﷺ بخلاف النوع الأول فالشهادة كانت معلقه بوصف عام.

وقد نبه الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه المسألة فقال:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٠٠) وقال صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

«الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون على وجهين: أحدهما: أن تقيد بوصف، مثل أن يقال: كل من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص، لأنك تشهد بما أخبر به رسول الله ﷺ ونعني بقولنا: -جائز- أنه غير ممنوع وإن كانت الشهادة بذلك واجبة تصديقاً لخبر رسول الله ﷺ، الثاني: أن تقيد الشهادة بشخص معين مثل أن تقول لشخص بعينه: (إنه شهيد)، فهذا لا يجوز إلا لمن شهد له النبي ﷺ أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك»[1].

وإذا تقرر هذا فينظر بعد ذلك في الحكم لموتى هذا الوباء بالشهادة هل دل على ذلك نص أم لا، فيحكم لهم بمقتضى ذلك اثباتا ونفيا.

وإذا رجعنا للنصوص فلا نجد نصا ظاهر الدلالة يدل على الحكم لموتى هذ الوباء بالشهادة.

كأن يرد في النصوص أن من مات بوباء، أو بمرض معدٍ، أو قاتل، وغير ذلك من الأوصاف التي تنطبق على هذا المرض فيحكم بمقتضاها لموتى هذا الوباء بالشهادة.

ويلاحظ أن النبي ﷺ لما ذكر الأصناف السبعة الذين شهد لهم الشهادة سوى القتل في سبيل الله فذكر قيودا وأوصافا.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ١١٥).

وهذه القيود إما أن تكون معلقة بسبب الموت كالموت بسبب القتال في سبيل الله، أو الموت بالطاعون، أو الغرق، أو الحريق، أو بسبب النفاس للمرأة.

أو معلقة بموطن مرض الموت من البدن: كالمبطون، وهو من مات بمرض في بطنه.

قال النووي: «المبطون فهو صاحب داء البطن وهو الإسهال، قال القاضي: وقيل هو الذي به الاستسقاء وانتفاخ البطن وقيل هو الذي تشتكي بطنه، وقيل هو الذي يموت بداء بطنه مطلقا»(١).

وكصاحب ذات الجنب وهو من مات بمرض في جنبه:

قال النووي: «وصاحب ذات الجنب معروف وهي قرحة تكون في الجنب باطنا»(٢).

فمثل هذا الوباء وكذلك السرطان فهي وإن كانت مؤلمة وقاتلة ؛ فإنها لا تدخل في الأوصاف المنصوص عليها، ولا ينبغي أن تقاس على شيء منها، وأما إذا دخلت في معناه فنعم، مثال ذلك السرطان فلو أصاب الأحشاء والمعدة كما يحصل أحيانا فهو داخل في معنى المبطون، لأن النبي ﷺ لم يسم مرضا معينا يصيب البطن، بل أطلق، فالوصف هنا متعلق بالعضو من

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٢-٦٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٢).

البدن لا بنوع المرض، وقد تقدم في تفسير المبطون قول النووي: «هو صاحب داء البطن» وفي قول آخر نقله هو: «الذي يموت بداء بطنه مطلقا».

وعلى هذا فكل ما شمله الوصف الشرعي حكمنا له به، فلو قدر أن هذ الوباء أو غيره يصيب البطن أو الجنب فيموت صاحبه به حكمنا لمن مات بهذ المرض بالشهادة على سبيل العموم لا التعيين.

وأما التخرصات التي لا تقوم على تأصيل علمي كأن يقول قائل: إن الموت بالسرطان، أو الكورنا يحكم لهما بالشهادة لأنهما يشبهان الطاعون، أو القول بأن لهما حكم المبطون، فهذا كلام باطل ليس له ضابط، وتخرص بلا تمحيص ولا تدقيق فما وجه الشبهة بينهما؟ فإن قال: (العدوى) فكثير من الأمراض معدية، ولو كانت هذه علة الشهادة فلماذا لم يقل النبي ﷺ وهو أفصح الخلق ومن أُوتي جوامع الكلم: (ومن مات بعدوى).

وخلاصة البحث: أنه لا يظهر والله أعلم أن موتى هذا الوباء ممن يشملهم حكم الشهادة بسبب الموت بهذا المرض، لكن يرجى لمن مات صابرا محتسبا موقنا بقدر الله أن له عند الله أجرا عظيما، وهو داخل بلا شك في عموم قول الله تعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾} [الحج: ٣٤، ٣٥].

ثم إنه ينبغي المنع من الحكم للأفراد المعينين بالشهادة، حتى الذين يموتون بالأمراض المنصوص على أن الموت بها شهادة على ما تقدم تقريره في الفرق بين الحكم بالشهادة على وجه الإطلاق وعلى وجه التعيين وأن الأول لا يستلزم الثاني.

والله تعالى أعلم. وبه ختام هذا البحث ،أسأل الله أن يجعله خالصا صوابا متقبلا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه ،وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين.

سطّره بتوفيق من الله:

إبراهيم بن عامر بن علي الرحيلي

وكان الفراغ منه في ١٧ / ٩ / ١٤٤١ هـ

فهرس الموضوعات